تاكيتوس والشعوب الجرمانية

ترجمها وشرحها وقدم لها

دكتور إبراهيم علي طرخان
مدرس تاريخ العصور الوسطى
بجامعة القاهرة - فرع الخرطوم

دار الضياء للطباعة
القاهرة - 1959

أما بعد — فأرجو أن أكون بعملى هـذا قد سددت بعض الفراغ فى المكتبة العربية ، بنقل جزء من تراث آخر عظماء اللاتينية إلى اللغة العربية وأن أكون فى الوقت نفسه قد بدأت مشروعا لنقل جميع تراث هذا العالم الفطن الجمهورى النزعة إلى لغتنا .

الخرطوم فى { ٢٥ ربيع أول ١٣٧٩هـ
٢٨ سبتمبر ١٩٥٩م }

ابراهيم على طرخان

تاكيتوس والشعوب الجرمانية

تاكيتوس : جرمانيا ، ت

ترجمة ، ابراهيم على طرخان . القاهرة ١٩٥٩

(٢٧٧٧ -)

مقدمة

تاكيتوس وعصره وتراثه

– ١ –

مكانة تاكيتوس المؤرخ – الامبراطور تاكيتوس – الاختلافات حول شخصيته ومؤلفاته – قلة المعلومات عن حياته – أسرته وولادته ووفاته – صداقته مع بلينى الصغير ومدى إعجاب بلينى به – عقيدته وثقافته وزواجه – وظائفه وسرعة ترقيته – آراؤه السياسية – أثرحكم الإرهاب فى نفسه – كراهيته للنظام الأمبراطورى – نزعته الجمهورية – وطنيته وتعصبه القومى – نظرته إلى الولايات الرومانية – نقده – إهماله الناحية الجغرافية إهماله الاستقصاء التاريخى – عنايته الفائقة بالأسلوب – إيجازه وبلاغته – عدم مزج الحقيقة بالخيال.

– ٢ –

مصادره الرسمية وغير الرسمية – مؤلفاته وقيمتها – الحوار – حياة اجريكولا – التاريخ – الحوليات – جرمانيا – دراسة تحليلية شاملة لكتاب جرمانيا.

Trajanus
Trajanus

تتركز مراجعنا الأصلية عن فجر الامبراطورية الرومانية ، حول ما كتبه تاكيتوس وسويتونيوس Suitonius وكاسيوس ديو Casuis Dio ؛ فهؤلاء جميعا يمتازون بالمقدرة الفائقة فضلا عن طريقة التأريخ ، وهذا وذاك مما خلد تراثهم. على أن رأس هؤلاء جميعا هو المؤرخ كورنايوس تاكيتوس[1] أعظم شخصية أدبية برزت على عهد تراجان Trajanus (ت ١١٧) فهو آخر كبار المؤرخين من الرومان ، وأشهرهم على الإطلاق لغة وبيانا[2] ، ثم هو واحد من أعظم مؤرخي العالم ، وأعظم مؤرخ لفجر الامبراطورية الرومانية . ولو قدر البقاء لجميع مؤلفاته وكتاباته حتى الوقت الحاضر ، لعدا المرجع الأساسي لتاريخ تلك الفترة منذ وفاة أغسطس (١٤م) حتى وفاة الامبراطور دوميشيان (٩٧م) ؛ غير أن ضياع جزء كبير من كتاباته ، قد أدى إلى نقص معلوماتنا عن تاريخ الامبراطور كايوس قيصر كاليجولا Caligula (٣٧ — ٤١ م) وتاريخ الاباطرة الفلافيين Flavian Emperors (٦٦ — ٩٦ م[4]) ، وذلك على حين أن المعلومات التي أوردها عن تيبريوس (١٤ — ٣٧ م) وكلوديوس (٤١ — ٥٤ م) ونيرون (٥٤ — ٦٨ م) جديرة بكل تقدير واعتبار[5] ؛ وهذا فضلا عن تفصيلاته القيمة الوثيقة عن الحروب الأهلية التي أعقبت وفاة نيرون خلال فترة يقدر مداها بعام واحد (٦٨ — ٦٩ م) وهو العام الذي تولى فيه أربعة أباطرة[6] ؛ وهو من أجل ذلك يعرف بعام الأباطرة الأربعة . ويرى تين Taine أنه إذا كان الغرض من التاريخ هو إعادة الحياة إلى الماضي ؛ فليس من بين المؤرخين من يناظر تاكيتوس في هذا الباب[7] ".

ومما تجدر ملاحظته أن الامبراطور تاكيتوس ماركوس كلوديوس Tacitus Marcus Claudius (سبتمبر ٢٧٥—٢٧٦ م) الذى ولى العرش على أثر مقتل أورليان M. D. Ourelianus كان يتميز بثقافة أدبية عالية؛ ويدعى أنه من سلالة تاكيتوس المؤرخ ولذلك أمر بنشر مؤلفاته وعرضها بالمكتبات العامة(٨).

لقد خلف تاكيتوس من التناقض واختلاف الآراء بين العلماء والنقاد حول شخصيته ومؤلفاته؛ ما جعله إماما فى هذه الناحية: إذ عد ذلك من قوة المؤرخ؛ فبينما يعده أنصاره أحد عظماء التاريخ الذين شهدهم العالم؛ يتهمه أعداؤه بكثير من المثالب: كجهله بالجغرافيا وضيق أفقه المدنى: ونفاقه السياسى الفاضح: بل إنه كذاب فى نظر فولتير Voltaire ونمام فيما يرى نابليون. والسبب الأساسى فى هذا الإختلاف: إنما يرد إلى ندرة معلوماتنا من شخصيته وحياته؛ أكثر من ذلك لسنا على يقين تام بمكان ميلاده أو تاريخ ولادته ووفاته (١٠)؛ وأصل أسرته؛ وحتى من صحة اسمه الأول(١١).

والواقع أن معلوماتنا قليلة عن أصل تاكيتوس وحياته الشخصية؛ وكل ما نعلمه عن تاريخه الشخصى، مستمد من الحقائق التى أوردها فى مؤلفاته وكذلك من الرسائل الإحدى عشر التى وجهها إليه أثر أصدقائه إليه وأصفاهم عنده وهو بلينى الصغير Pliny the younger.

واسم تاكيتوس الكامل. پوبليوس أوجايوس كورنليوس تاكيتوس Publius or Gaius Cornelius Tacitus، على أن الشك يحيط باسمه الأول.

هل هو بوبليوس؟ أوجايوس؟ والمحتمل أنه بوبليوس[١٢]. أما اسم كورنليوس فلا نستطيع أن نستدل منه على شيء، إذكان هذا الاسم كثير الاستعمال فى ذلك الوقت، وربما كان اسم أبيه، فقد أشار بلينى الكبير (ت ٧٩م) Pliny the Elder فى كتابه «التاريخ الطبيعى» إلى شغل هذا الأب بعض الوظائف فى العهد الامبراطورى؛ وهو من فرسان الرومان، فيقال إنه كان حاكما[١٣] Procurator على أقليم فى شمالى شرقى غالة، أو خازندارا للجيوش الرومانية المرابطة على الراين[١٤].

ومما قيل بصدد أصله البعيد، إنه يرجع إلى طبقة العبيد الرومان[١٥]، ولكن الأرجح أن عائلته ترجع أصلا إلى الدم الكلتى، وأنها وفدت مما وراء الألب من الأقليم المعروف فى جنوب غالة باسم غالة البعيدة Gallia Narbonensis[١٦] وعلى هذا الأساس فان تاكيتوس كغيره من الكثير من كتاب اللاتينية الخالدين، ليس رومانى الأصل أو حتى إيطاليا من حيث الأرومة[١٧].

أما سنة ميلاده بالضبط، فهى غير محققة؛ والراجح أنها كانت قرب نهاية حكم الامبراطور كلوديوس؛ أى حوالى عام ٥٤ أو ٥٥ م؛ وإنه ولد فى انترامنا Interamna، إحدى قرى شمال إيطاليا[١٨]: ظل تاكيتوس حيا يعمل وينتج حتى نهاية عهد الامبراطور تراجان (ت ١١٧ م)؛ وتوفى حوالى عام ١٢٠ م على الوجه الراجح؛ وله قبر بنى تخليداً لذكراه: ظل قائما حتى هدم بأمر البابا بيوس الخامس Piusv فى النصف الأخير من القرن السادس عشر الميلادى[١٩].

لقد تكلم بلينى الصغير[٢٠] كثيرا عن تاكيتوس أعز أصدقائه. ويتضح

من لهجة أحاديث بليني عن صديقه ؛ إنما كانا متقاربين في العمر ؛ ولو أن تاكيتوس يكبر صديقه بقليل . إذ أن بليني ولد حوالي عام ٦١ أو ٦٢ م وتوفي حوالي عام ١١٥ م . ظل الاثنان صديقين وفيين نحو بعضهما البعض طوال حياتهما . وكلاهما كان خطيبا مفوها من أعلام الأدب اللاتيني وقادة الفكر الروماني ؛ كان بليني فخورا بأن يكون تلميذا لتاكيتوس ؛ وشديد الحرص على أن يقرن اسمه مع اسم صديقه في الشهرة وبعد الصيت ؛ قدم إليه عدة رسائل ؛ كان بعضها من المراجع التي استند إليها تاكيتوس في كتابه «التواريخ»[٢١] . ذكر بليني في إحدى هذه الرسائل قصة عن صديقه تاكيتوس تبين مدى إعجابه به . ومدى اعتزازه بصداقته وولعه بالشهرة ؛ وخلاصة هذه القصة أنه حدث خلال إحدى المباريات الرياضية أن جلس تاكيتوس بجوار شخص غير معروف ؛ دخل هذا الشخص في جدل علمي مع تاكيتوس وبعد قليل وجه سؤالا إلى تاكيتوس . هل أنت إيطالي أم من أهل الولايات؟ أجابه تاكيتوس : أنت تعرفني من قراءاتك ؛ وحينئذ عقب هذا الشخص : هل أنت تاكيتوس أو بليني[٢٢] ؟

وكما يبدو من فقرات كثيرة من رسائل بليني ؛ إنه كانت لديه فكرة عالية عن صديقه تاكيتوس وعن مقدرته وكفاءته ومواهبه النادرة . وقد استشاره في إنشاء مدرسة في مدينة كومم Comum وهي كومو Como الحالية ؛ بشمال إيطاليا مسقط رأس بليني . وطلب إليه أن يختار هو الاساتذة الممتازين للتدريس فيها ؛ ومما قاله في هذا الحديث إني على يقين من أن « تواريخك » ستخلد على مر الزمن . وهــذا ما يجعلني أكثر رغبة في أن يظهر اسمي فيها[٢٣] .

أما عن عقيدة تاكيتوس الدينية ، فهو نفسه لم يعطنا دليلا محققا عنها . لكن هناك ما يدل على أنه كان يعتقد فى أن هناك قوة مسيطرة على العالم . وأن الإنسان مجبر غير مختار . ولذا فإن مستقبل الإنسان فى نظره محدود منذ ولادته . وكل شيء مقدر منذ الأزل[٣٤] وفى نفس الوقت ازدرى الديانة المسيحية — حين رآها تنتشر بين طبقات الأرقاء والغرباء . وعدها أقل من أن تنزل إلى بحثه وتفكيره ؛ بل إنه اعتبر ذيوع المسيحية بين الرومان من أسباب انحطاطهم[٣٥] .

تثقف بالثقافة الرومانية العالية المعروفة فى ذلك الوقت ؛ فدرس القانون الرومانى فى السنوات الأولى من حياته . كذلك درس البلاغة حتى صار خطيبا . ولكن واحـدة من خطبه لم تصل إلينا . وأوضح تاكيتوس فى كتابه « الحوار » وهو أول مؤلفاته[٣٦] ، وإن شك البعض فى نسبته إليه ، أسباب انحطاط الخطابة منذ وفاة توليوس شيشرون M. Tullius Cicero[٣٧] .

وتزوج تاكيتوس فى عام ٧٧ م من ابنـة يوليوس أجريكولا J. Agricola . غير أنه لم يذكر اسم زوجته قط[٣٨] . وتدلنا هـذه المصاهرة السامية على سمو منزلة تاكيتوس . ويحتمل أنها كانت السبب فى سرعة ترقيته فى الوظائف .

والمعروف أن تاكيتوس تدرج فى الوظائف التى يشغلها أعضاء مجلس الشيوخ حتى وصل إلى قمتها . وبدأت حياته الرسمية منذ عهد الامبراطور فسباسيان (٦٩ — ٧٩ م) مؤسس الأسرة الامبراطورية الفلافية . فشغل وظيفة تريبون حربى Tribunus militum . وهـذه أول وظيفة لأعضاء مجلس الشيوخ وشاغلها عبارة عن ضابط فى إحدى الفرق الحربية فى الجيش

الرومانى(٢٩) . وفى عام ٨٠ أو ٨١ ارتقى إلى وظيفة كويستور Quaestor على عهد الامبراطور تيتوس Titus (٧٩ - ٨١ م) ومهمة هذه الوظيفة هى الشؤون المالية(٣٠) ، ثم شغل وظيفة المهندار أو المحتسب Aedile ، واختصاصاتها متعلقة بالشئون البلدية كالإشراف على المنشآت العامة والأمن والأسواق والأسعار . أى أنها تقرب من وظيفة المحتسب(٣١) . وعلى عهد الامبراطور دوميتيان (٨١ — ٩٦م) عين فى منصب بريتور Praetor وذلك فى عام ٨٨ م ، وهى وظيفة ذات اختصاصات قضائية(٣٢) وخلال شغله لهذا المنصب الأخير . اختير عضوا فى جماعة الكهنة Quindecimviri أو لجنة الخمسة عشر . وهى المشرفة على كتب النبوءات السبيلية Libri Sipyllini(٣٣) والمعروف أن أعضاء هذه اللجنة لا يكونون إلا من كبار الرومان ، فقد شغل عضويتها عظماء أمثال أوغسطس واجريبا(٣٤) مما يدل على أن من يصل إلى هذا المنصب لابد وأن يكون من عائلة رفيعة سامية(٣٥) أى أن هذا يرجح من ناحية أخرى سمو أصل تاكيتوس .

وبعد أن عاد اجريكولا Agricola من بريطانيا(٣٦) يحتمل أن تاكيتوس حصل على منصب فى إحدى الولايات الرومانية ، إما أنه كان ضابطا مساعدا Legatus فى إحدى الفرق الحربية الرومانية المعسكرة فى ألمانيا السفلى ، وإما أنه كان حاكما على بلجيكا : ولذلك غاب فى روما أربع سنوات : وخلال هذه المدة مات صهره اجريكولا ، وأشيع أن دوميتيان دس له السم(٣٧) .

وارتقى تاكيتوس إلى منصب قنصل Consul فى عام ٩٧ أو ٩٨ م ، زمن الامبراطور نيرفا Nerva (ت ٩٨) : وجاء تعيينه قنصلا عقب وفاة القنصل الذائع الصيت فرجينيوس روفس Virginius Rovus : وقد ألقى تاكيتوس

على جثمان سلفه خطابا رائعاً رثاه داخل السناتو . ثم اشترك فى عام ٩٩ م مع صديقه بلينى فى محاكمة المجرم السياسى الكبير مانيوس برسكوس Manius Priscus نائب القنصل Pro - Consul بسبب عسفه وظلمه وابتزازه لأموال السكان ولاية إفريقية التى كان يحكمها (٣٨) ، عالجا تاكيتوس وزميله القضية علاجاً دقيقاً حتى استحقا من أجلها الشكر الرسمى من السناتو (٣٩) .

وحوالى عام ١١٢ م شغل تاكيتوس وظيفة البروقنصل ، وبهذا اللقب تولى حكم ولاية « آسيا » العظيمة غرب أناتوليا (٤٠) وهى ولاية سناتورية تأسست عام ١٣٣ ق . م . وهذه أرفع وظيفة يمكن أن يصل إليها عضو السناتو (٤١) . وقد أشار تاكيتوس إلى هذه الفترة الأخيرة فى كتابه عن حياة اجريكولا ، وذلك فى الفقرة الافتتاحية ، حيث قال : أنها فترة سعيدة على غير قياس .

غير أن حكم الأرهاب القاسى قد ترك أثراً سيئاً فى نفسه ، وصرح بذلك فى الفقرة التى اختتم بها كتاب اجريكولا ، فذكر أنه شهد إعدام عدد كبير من أرفع المدنيين الرومان من عام ٩٣ إلى عام ٩٦ ، وأنه شعر باعتباره عضواً فى مجلس الشيوخ بأنه شريك فى الإثم ، وهذه هى السنوات الثلاث السوداء فى عهد دوميتيان ؛ ولذلك عند ما كتب تواريخه ، صور أسوأ جوانب الإمبراطورية (٤٢) ، وكان لهذا وغيره أثره الكبير فى آرائه ونزعته السياسية .

وقد برزت آراء تاكيتوس وعواطفه السياسية بشكل صريح فى كل مؤلفاته . ورغم أن هذه العواطف أضفت على انتاجه مسحة أدبية رفيعة ، إلا أنها من جانب آخر قللت من قيمتها التاريخية . إن تاكيتوس من أولئك

الذين ينظرون إلى الماضي بإعجاب وتقدير ، مع أنه ظفر في العهد الإمبراطوري بأوفر حظ من السعادة وحسن التقدير ، لكنه في قرارة نفسه كان جمهوريا أكاديميا ، كغيره من الكثيرين الذين خدموا الإمبراطورية بإخلاص ، وإن لم ينسوا الذكريات السعيدة للعهد الجمهوري والسناتو الجمهوري . كان للحوادث التي شهدها بنفسه ، ولا سيما في عهد الإرهاب أثرها البالغ في نفسه ، فقد رأى عدداً كبيراً ممن لقوا حتفهم بتهم مختلفة بعضها خيالي ، لذلك بدت الإمبراطورية في نظره كارثة أو مصيبة نزلت بالرومان ، وارجع هذا إلى غضب الآلهة على الدولة(٤٣) ، أي أن للجو السياسي الذي كان يعيش فيه تاكيتوس أثره في تشكيل آرائه السياسية ولا سيما وأنه عاصر عددا كبيرا من الأباطرة هم : نيرون وجالبا وأوثو وفيتليوس وفسبازيان وتيتوس ودوميشيان وتراجان ؛ وربما أوائل عهد هادريان . ومن هؤلاء طغاة جبابرة أمثال نيرون ودوميشيان، وعادلون على شاكلة فسبازيان ونيرفا وتراجان . لذلك كان كثير التأثر بمشاهداته وخبرته وذكرياته ، وانتهى آخر الأمر بالقول الأسيف : « لا ينبغي للشخص أن يؤمل كثيرا أو ينتظر الكثير » ، ومع ذلك ساير الأمور ، واعترف بأن الإمبراطورية ضرورية خوفا من البطش والتنكيل ، وهذا هو ما دعا النقاد إلى القول بنفاقه .

ب وبصرف النظر عن الميول والعواطف الشخصية ، نلاحظ أن كبار الرومان من الطبقة العليا الذين يعيشون في روما ، أو عادوا إليها من الولايات كانوا لا يميلون إلى النظام الإمبراطوري ، اجتماعيا وسياسيا ، ورأوا فيه الكثير من المساوىء ، ولم يشفع له في نظرهم ، ما حققه من بسط السيادة الرومانية على مساحات كبيرة من العالم يومئذ ، فضلا عما أشاعه من نظام

وأمن ، وأتاحه من حياة رافية ناعمة لنا كيتوس وأمثاله حتى خلال حكم دوميشيان الرهيب .

رغم هذا أخرج تاكيتوس مؤلفاته التاريخية ، لاتهام الامبراطورية وللحط من شأنها ، ناظراً إلى أعمالها بمنظار قاتم حالك السواد ، ورأى فى استبداد الأباطرة بالسناتوكبتا لحرية أعضائه واعتداء على اختصاصاته ويرى أن الأفضل أن يظل السناتو صاحب السلطة العليا فى الدولة ؛ كان الطاغية من الأباطرة يجبر السناتو على أن يسهم فى طغيانه ويشترك فى جرائمه. وقد أجبر أعضاء مثل تاكيتوس وغيره على أن يصوتوا ضد معتقداتهم ، وفى إقرار اعدام أصدقائهم ، وهذا ما حمل تاكيتوس على أن يحكم بأن الامبراطورية ظالمة ، فهو ضد الامبراطورية ومتعصب للسناتو Anti - Imperial and Pro - senatorial ؛ وفى هذا الجو الملىء فى روما بالمخاوف من الدساسيين والتهم الباطلة والأهواء الامبراطورية ، استخدم تاكيتوس ومعاصره القذ يوفنال Juvenal أقلامهما لمحاربة هذه النواحى الدالة على الفساد والتدهور [٤٥] . لهذا كله بات العالم الرومانى فى نظره مجتمعا من العبيد الأذلاء ، كما غدت الطبقة النبيلة فيه Nopolisordo بصفة خاصة طبقة ذليلة خانعة عديمة الأهلية ، فرأى أن من العبث الحديث عن الحرية التى استشهد من أجلها أبطال أمثال هلفديوس برسكوس Helvidius Priscus [٤٦] ولم يعد لديه أمل سوى التضرع إلى الله لكى يمنح الرومان أباطرة عادلين وينعم عليهم بالصبر على الظلم الذى يتعرضون له ، ما دامت الامبراطورية نظاما لا محيد عنه .

وبجانب تعصب تاكيتوس لحقوق السناتو والنظام الجمهورى برمته ،

يتميز هذا المؤرخ بتعصب من نوع آخر ؛ وهو تعصبه الوطني الضيق ؛ فهو يتعصب لصالح روما وإيطاليا دون غيرهما . حقيقة هو متسامح مع الولايات الرومانية ، لكنه لا يميل إليها ؛ في الوقت الذي لم تمنعه فيه كراهته للنظام الامبراطوري من تأييد سيادة روما على الولايات التي تقاسي المحنة من شراهة الرومان(٤٧) . فهو يقول : إن الولايات نعمة ومفيدة . وهذا ما دعا اعتقاده إلى وصمه بالتناقض والنفاق ، بل إلى أنه محدث نعمة . ورغم أن وجود الولايات الرومانية هو المبرر لقيام النظام الامبراطوري والكيان الامبراطوري فإن هذه الولايات لا تنال من تاكيتوس إلا أقل نصيب من عنايته وحديثه؛ فإذا تحدث عن سياسة امبراطور ما ، فإن ما يخص منها الولايات لا يظفر إلا بالقليل من حديث تاكيتوس ؛ يصرف أغلب تفكيره وعنايته وكتاباته إلى روما وما يحدث فيها من اضطرابات ، أما ما يقع خارجها فلا يلتفت إليه كثيرا . أكثر من ذلك سخر من البريطانيين الذين أخذوا ببعض أهداب الحضارة الرومانية ، وهى حضارة فقيرة مفلسة فى نظره ، لأنها حضارة العبيد الأذلاء . كذلك سخر من قبائل البوكتريين Boucteri الذين يحتفلون بالأعياد الرومانية ؛ ويعتقد أن من المجد والشرف فى ساحة الوغى أن تبقى الفرق الرومانية بمعزل عن مكان الخطر بينما يقف أحلاف روما الشجعان بحيث يتعرضون لضربات العدو القاصمة (٤٨).

٥ ٥ ٥

لقد كان لعدم اهتمام تاكيتوس بالمسائل المتعلقة بالولايات الرومانية أثره الكبير فى كتاباته التاريخية ، فقد جعله هذا قليل الاكتراث بالمعلومات الجغرافية ، ومن ثم يصعب علينا أن نتبع على خريطة ما تلك الأوصاف

الغامضة التي أوردها عن الأعمال الحربية التي وقعت مثلا في بريطانيا أو جرمانيا أو أرمينية أو تراقيا .(٤٩)

وهذا من أخطاء تاكيتوس كمؤرخ ، فكثيرا ما أهمل التحقيق الجغرافى، فضلا عن إهماله التاريخ الحربى ، كذلك لم يهتم كثيرا برجل الشارع ، ولم يكن منصفا فى كثير مما كتب ، فعندما يشير إلى حادث خطير لا تعدو إشارته إليه كلمة عابرة ، فمثلا لا يزيد عن قوله ، فى حادث مقتل صهرة أجريكولا «إن دومشيان قد دس له السم»(٥٠) . فهو قليل العناية من ناحية البحث التاريخى من حيث الاستقصاء والموازنة مثله فى ذلك مثل ليفى (Livius) (٥٩ — ١٧ ق . م) فكلاهما قليل الضبط والتحرى فى الشئون التفصيلية .

أنصبت عناية تاكيتوس على الشكل دون الموضوع ، فهو شديد العناية بالأسلوب ، وربما كان أعظم كاتب من هذه الناحية(٥١) . وهو متأثر بأسلوب القدماء أمثال شيشرون وسالست (٥٢) ؛ إلا أنه تطور أخيراً إلى أسلوب خاص به ، لقد كتب تاكيتوس لكى يؤثر ولأجل المجد والفخر ، ومن ثم كان على تمام الأهبة لأن يضحى بالحقائق من أجل الفن .

فمثلا تلك الصورة التى أعطاها عن الامبراطور تيبريوس (١٤ — ٣٧ م) لا تعدو أن تكون قطعة أدبية رائعة ، ولكن ذلك جاء على حساب الحقيقة التاريخية . وأسلوبه مختصر موجز ، فهو شديد الكلف بالجمل القصيرة التى تحمل فقرة طويلة . ولكنه فى نفس الوقت محكم السبك أنيق العبارة كثير التنوع ، أكثر فى مؤلفاته من ذكر الطرائف وضرب الأمثلة وإيراد الملاحظات الساخرة التهكمية ، حتى صار الكثير من عباراته أمثلة يستشهد بها

ومع ذلك فإن تاكيتوس ينظر إليه دائماً كواحد من أعظم المؤرخين على الأطلاق ؛ ومما يذكر لهذا المؤرخ النابغة ، أنه امتنع عن مزج الحقيقة بالخيال والخرافة ، لأن مثل هذا المزج قد يؤدى إلى مناقشة مدى صحة المعلومات التى نوردها كلها بصفة عامة[٥٣]. غير أن تاكيتوس من ناحية أخرى ، قاسى كغيره من المؤرخين الناجحين ، الكثير من الانفعالات الحادة القوية والآلام النفسية والأحقاد ، وعقدته التى دفعته إلى التناقض هى أنه كان يدرك مدى عمق الهوة التى تفصل بين حياته العامة وصفته كمؤرخ .

ويشبه تاكيتوس بعض معاصريه ، فهو قرين يوفنال Juvenal فى قسوة نظرته وشدة تألمه لانحطاط المجتمع الرومانى ، وفى الكتابة لأجل المجد والشهرة ، وهو يدل فى تذوقه للفكاهات وميله إلى الدعاية التهكمية الساخرة ، على أنه ينتمى لنفس العصر الذى يعيش فيه فاليريوس مارتيال M . V. Martial شاعر البلاط[٥٤] . ويشبه ميلمان Milman المؤرخ تاكيتوس آخر عظماء اللاتينية بدانتى الشاعر أول عظماء الكتاب الإيطاليين ، ويراهما متكافئين من حيث قوة الملاحظة والنفاذ للطبيعة الإنسانية ، والقدرة على تركيز المعانى الكبيرة فى كلمات موجزة[٥٥] .

أما مصادر تاكيتوس التى اعتمد عليها ، فليس هناك ما يدعو إلى إنكار ما ذكره هو نفسه ، وهو أنه اعتمد على الوثائق الحكومية ، ولاسيما قرارات مجلس الشيوخ Acta Senatus .

والجريدة الرسمية Acta Diurna [٥٦] . ولا شك أنه قرأ ما كتبه كلوفيوس روفس Cl. Rufus عضو الشيوخ ، فقد كتب تاريخاً عن الفترة الأمبراطورية من أغسطس إلى وفاة نيرون ، وكذلك ما كتبه المؤرخ فابيوس رستكوس

F. Rusticus الذى وصف نفس الفترة ، وهو معاصر لتا كيتوس ؛ وبلينى الكبير الذى كتب عن الحروب الجرمانية . قرأ كذلك المؤلفات التاريخية التى كتبها سرفليوس نونيانوس M. S. Nonianus وهو من أعضاء الشيوخ أيضاً، وسنكا الكبير Elder Seneca [٥٧]. كذلك ليس من المحتمل أنه أهمل مذكرات الأباطرة وخطبهم ، مثل مذكرات أغسطس الذى كتب عن حياته وأعماله فى ١٣ كتاباً ، لم يبق منها إلا القليل ، ومذكرات تيبريوس ، وهى التى دأب الإمبراطور دوميشيان على قراءتها ، إذ كانت قراءته المفضلة ، وأهم من ذلك مذكرات كلوديوس التى وصف فيها فجر عهده ، وعليها اعتمد سويتونيوس المؤرخ ، كذلك كتب فيها فسباسيان عن أعماله ؛ وهناك مذكرات أجريبنا الصغيرة أو الثـــانية Agrippina وهى التى أشار إليها تا كيتوس فى الحوليات Quae Nerønis principis mater vitam suam et casus suorum posteris memoravit[٥٨] .

يضاف إلى ذلك مذكرات القادة العسكريين وغيرهم ، وخبرة تا كيتوس الشخصية وملاحظاته . وكان فذاً فى هذه الناحية ، وساعده على ذلك صلته الوثيقة بالحكومة الامبراطورية وأعمالها وسياستها نظراً لما شغله من وظائف عدة ، وتقلبه فى الأعمال الرسمية ؛ ولا يقلل من قيمة ملاحظاته أنه كان يكره النظام الذى يعيش فيه ، ثم أن مصادره لم تخل من بعض البقايا الأثرية[٥٩] الماثلة أمامه .

أما مؤلفاته فلم يبق منها سوى خمسة كتب ، وهى بحسب تاريخ ظهورها: الحوار وحياة أجريكولا وجرمانيا والتواريخ والحوليات ؛ ورغم أن كتابى التواريخ والحوليات هما الكتابان التاريخيان الأساسيان ، فان الذى رفعه إلى مصاف العظماء المؤرخين كتابان آخران هما : حياة أجريكولا وجرمانيا ،

إذ أنه فضلا عن قيمة هذين الكتابين بشكل إجمالى ، فانه أضاف فيهما شيئاً جديداً ، ونعنى بذلك الوصف الشامل القيم لبريطانيا تحت الحكم الرومانى ، فى كتاب أجريكولا ، وتلك الدراسة الأثنوجرافية لوسط أوربا «جرمانيا» ؛ ثم هما بجانب هـــذه الميزة الخاصة ، من الكتب التاريخية البالغة الأهمية بالنسبة للبلاد التى تناولتها .

وهذا عرض عام لتراث تاكيتوس :

Dialogue on the Orators
(Dialogus de oratoribus)

(الحـــوار)

أقدم مؤلفات تاكيتوس، إذ صدر فى عام ٨٠ م، وكان نتيجة لدراسته فى علوم البلاغة، ويدور موضوعه حول البلاغة الرومانية، وتدهورها وحول فساد التربية والتعليم فى عصره؛ ويتكون من ٤١ فقرة أو فصلا.

وضع تاكيتوس هذا المؤلف على شكل حوار أوجدل، وصرح بأنه سمع هذا الحوار عندما كان شابا(٦٠)، وذلك فى السنة السادسة من حكم الامبراطور فسبازيان (٧٥ م) وذكر أن هذا الحوار دار بين أعظم علماء البيان اللاتينى فى ذلك الوقت، ومن بينهم كورياتيوس ماترنوس Curiatius Maternus وفيبستانوس مســالا Vipstanus Messala وماركوس آبر Marcus Aper ويوليوس سكوندوس J. Secundus (٦١).

استهل حديثه بالإجابة على سؤال محدثه جستوس فابيوس J. Fabius حول خلو عصره من مجد البلاغة، وتحسر المعاصرين على الزمن السالف وأعلامه؛ حتى أن كلمه خطيب Orator لم تعــد تنطبق على واحد من المتحدثين البارزين فى زمنه(٦٢). وأشار تاكيتوس إلى أن البلاغة مثلها مثل النار؛ لابد لها من وقود حتى تشتعل ومن حركة حتى تذكو وتضيء (٦٣).

ولم يفت تاكيتوس فى هذا الحوار، أن يعرض لأعلام البيان المرموقين أمثال: ماركوس أبريوس Marcus Aprius وكرسبوس فيبيوس Cr.Vibius وشيشرون Cicero وفرجيل Virgil؛ كما أنه عرض لأعلام الإغريق القدماء مثل هومر Homer ويوربيديس Euripides وسوفوكليس Sophocles وغيرهم (٦٤) إلا أنه فضل شيشرون بصفة خاصة (٦٥).

الخلاصة أن تاكيتوس يسجل فى هذا الحوار : تدهور البلاغة وانحطاطها تحت الحكم الامبراطورى ؛ ويشير إلى الأسباب التى أدت إلى التدهور ويعزوها إلى الأحوال السياسية والاجتماعية ، ثم هو يعرض كذلك إلى الفساد الذى ألم بنظام التربية والتعليم(٦٦) . أى أن ميول تاكيتوس الجمهورية وكراهيته لنظام الامبراطورى قد وضحت تماما فى هذا الكتاب. والملاحظ أنه تأثر بأسلوب شيشرون ؛ وروح النقد اللاذعة للكاتب الرومانى كونتليان Quintilian (٦٧).

on the life of Julius Agricola

٢ — حياة كنايوس يوليوس أجريكولا

De vita Iulii Agricolae

هذا هو الكتاب الثانى ويتكون من ٤٦ فقرة ؛ أخرجه تاكيتوس حوالى عام ٩٧ أو ٩٨ م ؛ أى فى بداية عهد ترجان . وأجريكولا هذا هو صهر تاكيتوس ؛ فقد كان تاكيتوس متزوجا من ابنته .

ورغم أن هذا الكتاب مختصر ؛ إلا أنه نموذج رائع لكتابة التراجم : وقلد تاكيتوس إلى حد ما الإغريق فى طريقة كتابتهم للتراجم فضلا عمن سبقه من الرومان . من هؤلاء الذين أفاد منهم تاكيتوس :كسنوفون Xenophon وإيسقراط Isocrates وبلوتارخ Plutarch الأغريق ؛ ومن الرومان: كورنليوس نيبوس Cornelius Nepos وسويتونيوس Suetonius ثم سالست Salust فيما كتبه عن حرب يوجرثا ومؤامرة كاتلينا (٦٨) Bellum Iugurthium & Catilina .

كل هؤلاء الكتاب اسهموا بطريق مباشر أو غير مباشر فى فكرة تاكيتوس فى كتابه عن أجريكولا(٦٩).

أفرد تاكيتوس الفقرات الأولى من كتابه لتقديم موضوع الكتاب وشرحه (٧٠) ثم عرض لحياة أجريكولا ووظائفه وخدماته للدولة حتى ولايته الحكم فى بريطانيا (٧١)؛ لكنه لم يغفل الأحوال العامة لبريطانيا قبل عهد الرومان ؛ فتحدث عن جغرافيتها وسكانها (٧٢) وتاريخ الفتح الرومانى لها وحكامها من الرومان قبل عهد أجريكولا (٧٣) . ثم فصل فى أعمال أجريكولا فى بريطانيا (٧٤). وأشار فى الفقرات الختامية إلى عودة أجريكولا إلى روما ووفاته (٧٥)؛ وختم الكتاب بقوله أن الأرواح النبيلة لا تفنى بفناء الجسد (٧٦)

٣ — جرمانيا Germania

(ظهر هذا الكتاب فى نفس السنة التى ظهر فيها الكتاب السابق ؛ وقد أجلت الحديث عنه تفصيلا إلى ما بعد الفراغ من إحصاء وتقديم مؤلفات تاكيتوس الأخرى — انظر ما يلى) :

٤ — التاريخ Historia

Historiae

فرغ تاكيتوس من هذا الكتاب عام ١١٥ أو ١١٦ م ؛ أى فى أواخر سنوات حكم الامبراطور تراجان . ولابد أنه بدأ كتابه هذا التاريخ قبل ذلك بمدة طويلة . وقد وضع هذا الكتاب أصلا فى ٢١ مجلدا ؛ غير أنه لم يصل إلينا إلا الكتب الأربعة الأولى وجزء صغير من الكتاب الخامس .

وتناول هذا المؤلف ، تاريخ الامبراطورية الرومانية منذ عهد سرفيوس جالبا (S. Galba) (٦٩ م) حتى نهاية حكم دوميشيان (٩٧ م) ؛ فى

الكتاب الأول فصل فى حوادث الفترة من يناير إلى مارس (٦٩ م) ، وذلك فى ٨٩ فقرة ، واستمر فى الكتاب الثانى فى سرد حوادث ذلك العام، فضمن حوادث شهور مارس إلى أغسطس فى ١٠١ فقرة ؛ وبفصل الكتاب الثالث حوادث عام ٦٩ م (من سبتمبر إلى ديسمبر) فى ٨٦ فقرة ؛ وشمل ما بقى من الكتاب الخامس بقية حوادث عام ٧٠ م، فى ٤٦ فقرة .

ورغم التفصيلات التى أوردها عن حوادث عام ٦٩ م فى الكتب الأربعة الأولى إلا أنها تعد يسيرة بالقياس إلى حوادث ذلك العام الحافل بالثورة وفيما بقى من الكتاب الخامس معلومات غير مدقق فيها : إن لم تكن خاطئة عن اليهود وأخلاقهم وعاداتهم ودياناتهم ؛ فذكر مثلا أن اليهود جاءوا فارين من جزيرة كريت ولجأوا إلى أقرب ساحل فى أفريقية [٧٧] . وواضح أن ما أورده تاكيتوس من هذه المعلومات قد كتب من وجهة نظر الطبقة المثقفة فى روما ؛ وهى وجهة نظر متعصبة من غير شك .

ونظرا لفقد الكتب الأخرى ؛ فإن معلوماتنا قليلة عن حكم الأباطرة الفلافيين (٦٩ — ٩٦) وهذه خسارة علمية فادحة ولا سيما وأن المؤلف معاصر للحوادث التى يعالجها .

٥ — الحوليات Annals

لم يسبق تاكيتوس مؤلف آخر لهذا العنوان الذى اختاره لتاريخ العهد الأمبراطورى فى تاريخ روما . وقد كتب تاكيتوس بعض هذه الحوليات مع كتابة « التواريخ » ثم أكملها بعد نهاية حكم تراجان ؛ إذ يحتمل

His last Project - he was possibly working on it at his death.

جداً أنه عاش بعد تراجان ؛ ويحتمل أن تكون الحوليات آخر مؤلفاته .

تشمل الحوليات تاريخ الأباطرة الرومان منذ قبيل وفاة أغسطس مباشرة (١٤ م) حتى نهاية عهد نيرون (٦٨ م) ؛ أى أنها سجلت أحداث ٥٤ سنة .

وفى الحوليات رتب تاكيتوس مادته التاريخية ترتيبا زمنيا أو تاريخيا ؛ اذ جمع حوادث كل سنة على حدة ؛ أى أنه لم ترتب ترتيبا موضوعيا .

ليس من المحقق عدد الكتب التى أصدرها أصلا فى هذه الحوليات[٧٨] .

غير أن الذى بقى منها حتى الآن ثمانية كتب كاملة ؛ وهى الأربعة الأولى ومن الثانى عشر إلى الخامس عشر . أما الكتب التى لم تصل كلها كاملة فأربعة وهى : الخامس والسادس والحادى عشر والثانى عشر .

وهذه الكتب الباقية من الحوليات سواء ما بقى منها كاملا ؛ أو جاء ناقصا ؛ قد غطت عهد الامبراطور تيبريوس (١٤ — ٣٧ م) والسبع سنوات الأخيرة (٤٧ — ٥٤ م) من عهد الامبراطور كلوديوس ، وكذلك الاثنتى عشرة سنة الأولى (٥٤ — ٦٦ م) من عهد الامبراطور نيرون .

وقد أدى خلو الحوليات من الأجزاء الفاقدة ؛ إلى ضياع تاريخ الامبراطورى كاليجولا (Caligula) (٣٧ — ٤١ م) وكذلك الثلاث سنوات الأولى من حكم كلوديوس والثلاث سنوات الأخيرة من عهد نيرون الأحمق كما يصفه تاكيتوس .

إذن ليس لدينا سوى ٤٠ سنة من فترة الـ ٥٤ سنة التى عالجتها الحوليات إلا أنه رغم هذا النقص فان تاكيتوس كان مجيدا فى إعطائنا صورة واضحة صادقة عن تاريخ الامبراطورية الرومانية خــلال القرن الأول الميلادى .

صور تاكيتوس في الحوليات مدى الانحطاط الذي تردت فيه الامبراطورية وذلك في أسلوب بليغ ، وربط هذا الانحطاط بالنظام الامبراطوري نفسه ثم هو يوجه عناية كبرى إلى النواحي الخلقية أكثر من النواحي السياسية، ولذا فهو أخلاقي أكثر من كونه مؤرخا عليما ؛ وأنه اتخذ من التاريخ، كما اتخذ معاصره يوفنال Juvenal من الشعر ؛ سوطا صبه على المجان المنحلين الذين كانوا يتقلدون مناصب الدولة الكبرى ؛ في الفترة الوسيطة من حياته[٧٩] . وعلى ذلك فاقوى جزء من الحوليات ؛ وكذلك في التواريخ ؛ هو التخطيط الخلقي . ومما قاله في الحوليات : إنه يعتبر أن وظيفة التاريخ العليا هي انقاذ الفضائل من الإهمال والغفلة[٨٠] .

والملاحظ أن الحوليات والتواريخ تغطي الفترة من عام ١٤ م إلى عام ٩٦ م . على أن تاكيتوس لم يكتف بما سجله من أحداث للتاريخ في كتبه التاريخية ، فقد ذكر في الحوليات ، أنه سوف يخرج كتابا عن عهد أغسطس ، إذا امتد به الأجل[٨١] . ووعد في « التواريخ » أنه ادخر لشيخوخته اخراج كتب أخرى عن عهدي نيرفا Nerva وتراجان[٨٢] . ولو قدر التحقيق لهذه المشروعات لكان تاكيتوس بهذا العمل قد أوفى تاريخ العهد الإمبراطوري حتى وفاة تراجان ، ولكن وفاته حالت دون قيامه بهذا العمل أو أن حماسته للكتابة والتأليف قد فقدت أو قلت عند ما كبرت سنه .

جرمانيا

تمهيد في العلاقة الرومانية الجرمانية حتى ظهور كتاب تاكيتوس عن جرمانيا — تاريخ ظهور الكتاب — المراجع عن جرمانيا قبل تاكيتوس — مدى اعتماد تاكيتوس عليها — خبرته الشخصية — تحليل كتاب

جرمانيا : الجرمان على عهد تاكيتوس — نظام توزيع الأراضى لديهم — افتقار الجرمان إلى المدن — طبقات المجتمع الجرمانى — النظام السياسى : الجمعية الوطنية وسلطتها — حاشية الرئيس — مدى سلطة الملكية — القوات المسلحة — هدف الكتاب — قيمة الكتاب — ألمانيا الحديثة وكتاب جرمانيا (إنجيل الوطنية الألمانية) — أوربا وكتاب جرمانيا — نواحى الضعف فيه .

قبل أن نعرض لكتاب جرمانيا بالتحليل الشامل والترجمة ، نتناول فى شىء من الإيجاز العلاقة بين روما والشعوب الجرمانية ، التى تحدث عنها تاكيتوس فى كتابه ، موضوع الترجمة ، حتى ظهور هذا الكتاب .

المعروف أن الشعوب الجرمانية التى احتكت بها روما ظلت ترد على أعتابها مدة قرون طويلة ، حتى انحازت إلى المنطقة الشمالية الغربية بالنسبة للعالم الرومانى ، وذلك فى الاقليم الممتد بين جوتلاند ونهر الأودر . على أن هرائم الجرمان الأولى جاءت على أيدى القبائل الغالية التى كانت خلال ذلك الوقت أشد بأسا من الجرمان والغاليين ؛ وفى وقت ما بدأ الجرمان جولتهم نحو الغرب ؛ واستطاعت قبائل التونجريين Tungrii منهم ؛ وقبائل أخرى غيرها أن تستقر على الشاطىء الأيسر لنهر الراين ؛ ولم تتحقق روما فى ذلك الوقت ؛ أى هذه القبائل جرمانية ؛ وظلت على ذلك حتى عام ١١٣ ق م حين هاجرت قبائل الكمبرى والتيوتون Teutoni من أماكنها فى أقصى شمال جوتلاند وهاجمت إيطاليا ، وانتصرت على الرومان . ثم ظهرت هذه القبائل مرة أخرى ١٠٨ ق.م . فى وادى الرون وهزمت القنصل الرومانى سكوروس Scaurus . وفى عام ١٠٥ ق.م أبيد جيشان رومانيان فى منطقة

الأورانج Orange . ولو تابع الجرمان تقدمهم واقتحموا إيطاليا بعد هذا النصر الساحق لأمكنهم تدميرها بسهولة . لكن الذى حدث أن البرابرة حولوا وجهتهم إلى أسبانيا لفتحها . ثم غادروها إلى الغال بعد ذلك بثلاث سنوات . وهذا ما أتاح الفرصة لروما أن تعيد تنظيم قواتها . ومن ثم استطاع ماريوس Marius انبغ قوادها أن ينفث روحا جديدة فى الجيش الرومانى وأن يتقدم به . وكان الجرمان فى ذلك الوقت قد قسموا قواتهم . ولذا استطاع ماريوس أن يحطم التيوتون فى وقعة اكس Aix فى بروفانس. أما الكمبرى الذين كانوا قد عبروا الألب ليدخلوا إيطاليا من جهة الشرق ، فقد لقوا هزيمة ساحقة فى فرسلاى Vercellae عام ١٠١ ق.م وبذلك سكنت العاصفة فجأة كما بدأت فجأة .

استمرت روما فى أمن وهدوء نحو أربعين عاما غير أنه حدث فى عام ٥٨ ق.م أن استشعر قيصر خطرا جديدا وتهديدا من جانب اريوفستس Ariovistus ملك السويف Suevi. ذلك أن بعض القبائل الغالية قد دعته ليعاونها ضد منافسيها . ولكنه سرعان ما بسط سلطانه على هؤلاء الحلفاء . وأخذ منهم الرهائن كما فرض عليهم الجزية : وأخذ يتحرك من جرمانيا . لم ير قيصر بدا من محاربته وطرده إلى ما وراء نهر الراين ثم لم تلبث علاقة الرومان أن حسنت واعتبره الرومان صديقا لهم بقرار من السناتو ولكن أعداء قيصر فى روما استغلوا هذا القرار واتهموا قيصر بالخيانة .

مرت فترة هدوء طويلة ، فيما يتعلق بالعلاقة الجرمانية الرومانية ، ولم يستطع الجرمان أن يفيدوا من الحروب الأهلية التى نشبت بين الرومان على أثر مقتل قيصر ، حتى إذا صار أغسطس سيد الموقف ، التفت إلى الأخطار

التي تهدده من ناحية الشمال ، ولم يقتنع بنهر الراين كحد للامبراطورية . لذلك قرر أن يتقدم حتى نهر الألب ؛ وفى عدة حملات حربية بقيادة دروسوس N. Drusus ، وتيبريوس Tiberius ، استطاع أن يحقق النصر على الجرمان. ومنذ ذلك الوقت أخذ الجرمان يتعشقون الحضارة الرومانية ، فأخذوا بأهدابها تدريجياً ؛ ومن ثم تهيأت الأحوال لأن تصبح جرمانيا ولاية رومانية ، بعد سنوات قليلة ، لو أن روما التفتت إلى هذا المشروع ، ولكن عناية الرومان انصرفت إلى أخطار جديدة بدأت تهددها من جانب ماربودس Marododuus ملك الماركومان الطموح وذلك من ناحية الجنوب الشرقي ، ثم أعقب ذلك قيام ثورة ضد الحكم الروماني في ولاية بانونيا . لهذا كله تركت جرمانيا تحت إشراف القائد الروماني فاروس Q. Varus وهو من النبلاء الذين يتميزون بالعقرية الحربية المنقطعة النظير . غير أن الجرمان استطاعوا أن يقضوا عليه وعلى ثلاثة جيوش رومانية في غابة تيوتوبرجر Teutoburger على يد القائد أرمنيوس Arminius زعيم قبائل الشروسكي Cherusci وذلك عام ٩ م . كان أغسطس يدرك الخطر المحدق به ؛ ولذا كثيراً ما دعا فاروس إلى العودة مع جيوشه ، ومنذ ذلك الوقت تحولت روما من جانب الهجوم إلى جانب الدفاع . ولما كان ارمنيوس يطمع في أن يصير ملكا على قومه وهذا ما يقاومه بعض مواطنيه ، فقد انتهت حياته بالقتل على يد منافسيه داخل وطنه عام ١٩ م . وربما كانت أهمية ارمنيوس التاريخية فى أنه صرف روما عن التفكير فى فتح جرمانيا وتحويلها كغيرها من الأقاليم إلى ولاية رومانية ، وهو المشروع الذى أصرت عليه روما من قبل وفشلت فى تحقيقه .

وخلال الفترة من ١٤ إلى ١٦ م سمح الأمبراطور تيبريوس للقائد العظيم جرمانيكوس Germanicus أن يقوم بغزو جرمانيا للانتقام لكارثة فاروس ولإظهار قوة الجيوش الرومانية . فقام بهذا العمل ونجح نجاحا باهرا رغم ما لاقاه فى السنه الأولى من خسائر بسبب خديعة أرمنيوس واحتفل بقتلى عام ٩ م فى الغابة المنحوسة .

ولما رأى تيبريوس أن فتح جرمانيا سوف يكلف الرومان ثمناً غالياً قرر أن تظل حدود الأمبراطورية عند الراين ، وهذا ما أدركه كذلك الامبراطور كاليجولا Caligula . فظل السلام سائداً فترة من الزمن ، حتى إذا وقعت الحروب الأهلية فى روما عام ٦٨/٦٩ م وهو العام المعروف بعام الأربعة أباطرة ، قام يوليوس كيفيليس I. Civilis وهو نبيل باتافى غالى ، وأثار مواطنيه من الباتافيين ، وحلفاءه من الجرمان لمساعدة فسبازيان Vespasian ضد فيتليوس Vitellius منافسه فى العرش الإمبراطورى فى روما ، وفى ذلك الوقت كانت الجيوش الرومانية المرابطة على الراين قد انحطت وفسدت ، وعند موت فيتليس كان على كيفيليس أن يضع نفسه تحت تصرف فسبازيان . ولكنه لم يفعل ذلك بل أخذته العزة بالعناد . إذ كان يرمى إلى الاستقلال ونجح فى إعلان امبراطورية الغاليين Empire of The Gauls فى الشمال الشرقى فى غالة عام ٦٠ م . ولكن فسبازيان لم يستسلم بل سرعان ما ضرب ضربته السريعة الحاسمة . فقام قائده المظفر كيرياليس Cerealis وهزم الغاليين . وجاء هذا النصر على غالى الشمال درسا للغاليين فى الجنوب حيث قرروا أن يظلوا على ولائهم لروما . بينما تردد كيفيليس بين الولاء والعناد . وأخير اقتنع بالتسليم تحت شروط معقولة . ولكن فسبازيان أراد أن يقضى على

كل أثر لهذه الامبراطورية الغالية ، فظل صلبا فى موقفه حتى محا معالمها ، وأراد فى نفس الوقت أن يؤمن نفسه وامبراطوريته ضد الاخطار فى المستقبل ، فحدد وضع ذلك الفراغ بين الراين والدانوب ، وهو ما يعرف باسم الأراضى العشرية والحقول العشرية Agri Decumates وأقام فيها خطا دفاعيا قويا(٨٣) .

أما دوميشيان Domatian فقد بذل ما استطاع من قوة لقمع الجرمان وحارب قبائل الكاتيين Catti عام ٨٣ ، ٨٨ م فى منطقة الراين الأوسط وظفر بانتصارات هينة سخر منها الرومان .

وحكم تراجان ولاية جرمانيا العليا ، عندما تبناه الامبراطور نيرفا Nerva وعينه قائدا أعلى للجيوش الرومانية فى تلك الولاية ، وظل بها من عام ٩٨ — ٩٩ م ، ويحتمل أن عنصر البروكتريين Bructeri قد قضى عليه فى عام ٩٨ م على يد أعدائه من الجرمان أنفسهم ، وكانت أعمال ترجان فى تلك الولاية ناجحة بحيث أنه اضحى من الممكن نقل الفرق الرومانية من الراين إلى الدانوب .

هذا ما يتعلق بالجرمان الغربيين ، أما الجرمان الشرقيون ، فقد بدأت علاقتهم بروما متأخرة عن أشقائهم الغربيين ، وكانت أقل حده وعنفا . فى عام ٨ ق . م استطاع الماركومان والكوادى أن يطردوا قبائل البوئى Boii من بوهيميا وهى التى ظلت تعرف باسمهم حتى بعد طردهم منها ، ونجح ماروبودوس Marodobuus ملك الماركومان العظيم فى تدعيم قوته بجمع عدد كبير حوله من القبائل الجرمانية الحليفة ، وكون منها حلفا ضخما قويا ، بحيث أثار مخاوف روما ، ولا سيما وقد بسط سيادته على مساحة كبيرة من

الأراضي وعدد كبير من القبائل . ولكن شهرته قد أثارت حسد الجرمان الآخرين ، فبدأت قواته تضعف ، كما بدأت امبراطوريته تتدهور ، واضطر إلى الالتجاء إلى راقنا عام ١٧ م .

ومن حيث المشاكل على الدانوب لعهد دوميشيان ، فقد أثارها الداكيون والسارمات أكثر من الجرمان ، وأما الحروب العنيفة الطاحنة التي خاضها الامبراطور أورليوس M. Aurelius (١٦١ — ١٨٠ م) ضد الكوادى والماركومان فخارجة عن نطاق الفترة التي نعنى بالحديث عنها(٨٤) .

° ° °

دلت هذه الأحداث مجتمعة ومتفرقة على أن الجرمان لم يقهروا ، رغم كل تلك الهزائم المتلاحقة ، والنتيجة التي استخلصها تاكيتوس في كتابه هي أن الجرمان لم يقهروا ولم تفتح بلادهم ، ولذا أوضح في كتابه جرمانيا أن مهمة روما هي العمل على التفرقة بين أعدائها . ويرى أن مثل هذا الانقسام أجدى على روما من محاولة التغلب عليهم بالسيف ، طالما أن بلادهم لم تفتح Tamdiu Germania Vincitur . وكأن تاكيتوس كان يتحدث بصوت التاريخ ، فإن خطر الجرمان لم يزل ، وظل مسألة المسائل حتى جاء زوال الامبراطورية الرومانية في الغرب آخر الأمر على يد الجرمان بعد أن اقتصت أطرافها تدريجيا .

° ° °

والملاحظ في هذا العرض الموجز للعلاقة الجرمانية الرومانية ، أن الامبراطور تراجان أعطى فجر حكمه في الولايتين الجرمانيتين : جرمانيا العليا Upper Germany وجرمانيا السفلى Lower Germany ، وهما مقاطعتان

حريبتان على الجانب الأيسر لنهر الراين . وبعد نجاح حملاته الحربية ضد القبائل الجرمانية فى صيف عام ٩٨ م ، تقدم إلى الدانوب حيث أمضى الشتاء فى عمليات حربية فى داكيا Dacia ، وابتهجت روما بانتصاراته الرائعة . وفى ذلك الوقت بالذات ظهر كتاب جرمانيا Germania [٨٥] ، إذا استغل تاكيتوس ميل الرومان إلى هاتين الولايتين ومظاهر الفرح العام بانتصارات تراجان ، ولذا اختار هذا الوقت (٩٨ م) لإصدار كتابه عن جرمانيا[٨٦] .

أخرج تاكيتوس كتاب جرمانيا فى ذلك العام ، عقب إصداره كتاب أجريكولا مباشرة ، وكتاب جرمانيا عبارة عن رساله أخرجها المؤلف نتيجة لخبرته الشخصية ومشاهداته وبحوثه ودراساته التى قام بها سنوات عدة ، وكان ينوى أن يخرج مؤلفاً تاريخياً ضخماً ، غير أنه آثر نشر هذه الرسالة ككتاب مستقل بمناسبة مشروعات تراجان على ضفاف الراين .

على أن تاكيتوس لم يكن أول الكتاب الذين كتبوا عن تاريخ الشعوب وأحوالهم ، كما أن كتابه جرمانيا ، وهو مرجع أصيل لفجر التاريخ الألمانى لم يكن الأول من نوعه ، فالمعروف أن الإغريق أول من طرق موضوع الكتابة عن الشعوب . منهم : هيكاتيوس الميليتى Hecataeus of Miletus (ولد حوالى ٥٤٦ ق . م) وهيرودوت Heorodotus (حوالى ٤٨٤-٤٢٥ م) وهيبوقراط الطبيب Hippocrates (القرن الخامس ق . م) ، بل إن أرسطو Aristotle (٣٨٤ — ٣٢٣ ق . م) نفسه وجد من الوقت ما مكنه من دراسة الشعوب .

أما المراجع التى صدرت عن جرمانيا قبل ظهور كتاب تاكيتوس فأهمها ما كتبه الفيلسوف المؤرخ پوسيدونيوس Posidonius of Rhodes

(١٣٥ — ٥٠ ق . م) إذ أفرد الكتاب الثلاثين من كتبه التاريخية البالغ عددها اثنين وخمسين كتابا ، للحديث عن ألمانيا . كذلك كان يوليوس قيصر أول كاتب رومانى يفرد بعض الفصول عن الجرمان — وذلك فى كتابه الحرب الغالية — BellaGallico ، أما ليفى Livius المعاصر لأوغسطس فقد خصص الكتاب رقم ١٠٤ من كتبه التاريخية للحديث عن ألمانيا ، وبدأ فيه بحملات قواد أغسطس عليها . وكتب سترابو Strabo أواخر القرن الأول ق . م فى كتابه السابع ، لكنه لم يقم بدراسات وافية ، وأرخ بلينى الكبير Pliny The Elder للحروب الجرمانية الرومانية حتى وفاة الامبراطور كلوديوس (٥٤ م) ، وهذا أهم ما كتب فى هذا الموضوع ، نظراً لأن بلينى شهد ألمانيا بنفسه وخدم على الحدود فاستفاد كثيرا من مشاهداته وخبرته الشخصية ، كما استفاد مما سمعه من أصدقائه ، غير أن كتاب بلينى هذا قد فقد كله(٨٧) .

ومن المحقق أن تاكيتوس استعاد الكثير مما كتبه هؤلاء ، إلا أن مدى إفادته من كتاباتهم قد اختلفت عن بعضها البعض ، فبينما هو يقدر ما كتبه قيصر ، حق قدره ، لم يهتم كثيرا بما كتبه سترابو ؛ وجاء جل اعتماده على ما كتبه بلينى الكبير ، فهو بحق يدين له بالكثير مما كتبه عن جرمانيا ، على أنه لا يمكن تقدير إلى أى حد أضاف تاكيتوس إلى هذه المعلومات التى كتبها أسلافه عن جرمانيا ، فقد شهد ألمانيا بنفسه واستمع إلى أحاديث الجنود والتجار عنها ، ولذا لابد وأن كانت الاضافات كثيرة وعظيمة القيمة(٨٨) .

شغل تاكيتوس منصب ضابط Legatus فى فرقة حربية رومانية فى ألمانيا السفلى ، وحكم بلجيكا مدة أربع سنوات (٩٠ — ٩٤ م) وهذا ما أتاح له

فرصة مشاهدة القبائل الجرمانية بنفسه، وجمع قدر من المعلومات عنها، يضاف إلى ذلك أنه كان شخصياً كثير الاهتمام بألمانيا والقبائل الجرمانية، إذ أدرك في قرارة نفسه مدى الخطر الذي يتهدد الامبراطورية الرومانية من ذلك الصقع (٨٩).

ومما يزيد من قيمة ما كتبه عن جرمانيا والشعوب الجرمانية، أن ما أورده عنها قد دعمتها وسندتها مجموعات القوانين الجرمانية التي كتبت بعد عهد تاكيتوس والتي لم تزل باقية إلى اليوم.

° ° °

تناول تاكيتوس في كتابه جرمانيا وصف أخلاق وعادات القبائل الجرمانية التي احتكت بها روما؛ كما تناول وصف جغرافية ألمانيا، ثم عرض لتاريخ القبائل الجرمانية وأحوالها الاجتماعية والسياسية والدينية (٩٠).

وقد وصل الجرمان على عهد تاكيتوس إلى درجة متقدمة نسبياً من المدنية، أكثر مما كانوا عليه في الوقت الذي وصفهم فيه قيصر، وذلك قبل تاكيتوس بنحو ١٢٠ سنة. لم تعد كل قبيلة تغير موطنها بالسرعة التي كانت عليها من قبل، واستقرت كل قبيلة أو كل مجموعة من القبائل في قرى، ذات منطقة زراعية محدودة إلى حد ما، هذا مع ملاحظة أن ثروتهم الأساسية اعتمدت على رعي الماشية. ثم هناك تقدم ملحوظ في التنظيم المحلي، إذ صارت الزراعة عامة، وأضحى لكل رجل منزل ثابت، كما قل الإقبال على الصيد، وربما كان ذلك راجعاً إلى أن حيوانات الصيد قلت. هذا والمحاربون الجرمان كانوا يجدون متعة في قضاء أوقات فراغهم في الشراب ولعب الميسر (٩١).

ويقضي نظام توزيع الأراضي لدى الجرمان بأن يكون لكل رجل حر قطعة من الأرض يتسلمها من الهيئة المهيمنة على المجتمع الذي يعيش فيه، وتغيير هذه القطعة كل سنة، نظراً لوفرة الأراضي الصالحة للزراعة، ورغم أن الرجل الحر لا يحوز قطعة أرض ثابتة، إلا أن حقه ثابت في الحصول على حصة كل عام، وذلك على حين أنه يتمتع بحقوق الملكية التامة على منزله ومحتوياته. وبجانب قطعة الأرض له حق الحصول على حصة معينة في المرعى، والجرمان لا يزرعون غير القمح في أراضيهم.

على أن الجرمان رغم التطور الذي آلوا إليه منذ عهد قيصر وأريوفتس، لم يتخلوا عن كثير من مظاهر حياتهم، فظلو يقيمون في القرى، ولم يوجد في قراهم ما يصح أن يطلق عليه اسم مدينة، كما ظلت مبانيهم متفرقة عن بعضها البعض، كذلك لا يزالون يخرجون للصيد، ولا يبدون كثيراً من الاهتمام نحو التجارة مع سذاجة في المظهر والزى.

ويبدو أن المجتمع الجرماني كان مكوناً من ثلاث طبقات.

١ — طبقة الأثرياء الذين يمتلكون كبير عدد من الماشية، وهؤلاء لا شك يحصلون على قطع أكثر من الأراضي الزراعية والمرعى، حقيقه أن جميع القطع متساوية لكن قد يأخذ الرجل الواحد أكثر من قطعة واحدة؛ وهؤلاء هم نبلاء الثروة.

٢ — طبقة النبلاء. وهم النبلاء المولد، المنحدرون من الملوك أو الآلهة أو الرؤساء العظام. وعلى أساس هذا الأصل النبيل يختار الملوك من بين هذه الطبقة، وذلك في القبائل التي أخذت بنظام الملكية. لكن ليس من المحتمل أن هذا الامتياز يتبعه امتياز في الحقوق السياسية.

٣ — المحررون والعبيد Freedmen & servi ؛ والملاحظ أن العبيد نوعان رقيق Slaves وهؤلاء فقدوا حريتهم بسبب لعب الميسر(٩٢) ، أو عن طريق الأسر فى الحروب ، وفلاحون قراريون ارتبطوا بالأرض التى يزرعونها ، وهؤلاء يشبهون ذلك الفريق الذى عرف عند الرومان باسم Coloni وهو قرين للفلاح القرارى فى الاقطاع الشرقى . ويحتمل أن الفئة الأخيرة تتكون من حائزى الأرض الأصليين الذين خضعوا لسيادة الجرمان عند استيلائهم على بلادهم ، والفلاح الجرمانى German Colonus يعتبر من الناحية الشخصية حراً ، فهو يمتلك منزلا خاصا ، ولكنه عبد من حيث علاقاته بسيده ، فليس باستطاعته أن يفارق سيده أو يهجر الأرض التى يزرعها ، ويشبه رقيق الأرض فى العصور الوسطى وعليه أن يدفع لسيده كمية محددة من القمح أو الماشية أو الثياب وحالته فى غاية السوء إذ باستطاعة سيده أن يقتله دون أن يحاسب على ذلك(٩٣) .

أما النظام السياسى للشعوب الجرمانية ، فوحدته القبيلة . وللجرمان جمعية وطنية تنعقد عند اكتمال البدر ، وهذه الجمعية هى صاحبة السلطة الحقيقية . وجميع الأحرار أعضاء فيها يحضرون اجتماعاتها بسلاحهم ويجلسون من غير نظام أو ترتيب ، وفى اجتماعاتهم يقررون مسائل السلم والحرب وينتخبون قضاتهم ؛ كذلك تؤدى الجمعية الوطنية مهمة المحكمة .

ومن حق الرؤساء Principes أن ينشئوا لهم هيئة حاشية أو معاونين أو رفقاء Comitatus ، وهذه الهيئة من خصائص التقاليد الجرمانية . يتكون أعضاؤها من جماعة من الشبان المحاربين ، يختارون بكل دقة ويرتبطون بهؤلاء الرؤساء ارتباطاً وثيقاً . وعلى الرؤساء أن يزودوهم بالسلاح والطعام ومهمتهم فى الحرب أن يدافعوا عن رؤسائهم فهم يحاربون من أجل رؤسائهم

وإليه ينسبون أعمال بطولتهم وشجاعتهم . ووظيفتهم الرئيسية هي الحرب ، وتعتمد منزلة الرئيس ومكانته وشهرته على كثرة عدد أتباعه ومدى ما يتصفون به من قوة وإقدام [٩٤] .

وخلال أوقات السلم يعمل الرؤساء مستقلين ، كل فى مقاطعته ، غير أنه فى زمن الحرب يخضعون جميعاً لقائد أعلى واحد تختاره الجمعية الوطنية .

والملكية فى تلك القبائل محدودة السلطة والنفوذ . ومنصب الملك منصب أدبى وشرفى أكثر من كونه منصباً ذا أهمية سياسية .

وتتكون القوات الحربية عند الشعوب الجرمانية من الفرسان والرجالة ، وتجمع على قاعدة أن كل مقاطعة Canton ترسل مائة محارب ، تختارهم من ذوى الشجاعة والمقدرة . ومن القبائل الجرمانية ما تميزت بقوة رجالها مثل قبائل الكاتيين [٩٥] ومنها ما علت سمعتها بفضل فرسانها مثل التنكتيريين [٩٦] .

° ° °

هذا عرض موجز لكتاب جرمانيا ، ولكن ما الهدف الذى كان يرنو إليه تاكيتوس من إصدار هذا الكتاب ؟ هل هو مجرد أخبار رأى أن يوردها عن أخلاق وعادات الجرمان كما يورد الإخبارى أو المؤرخ أنباء السلف أو الشعوب الأخرى المعاصرة مجرداً من أى غرض ؟ أو هل كان تاكيتوس يهدف إلى غرض خلقى أو سياسى .

إن تاكيتوس فى وصفه لعادات الجرمان وتقاليدهم ، لم يخطىء حين لاحظ وجه التناقض الشديد بين فضائل الجرمان التى ذكرته بفضائل روما القديمة ، وما آلت إليه هذه الفضائل من انحطاط وتدهور وفساد فى عهد

الامبراطوريه ، لم تخطىء كذلك حين قرر أن الجرمان لم يهتموا بالمعادن الثمينة ، وأن الحرية لديهم أهم من امبراطورية بارثيا[٩٧] وأن نساءهم يتحلين بالعفة والطهارة وأن الجرمانى لا يفسق ولا يحب أن يفسق به ، وأنهم سذج بسطاء ولكنهم من ناحية أخرى ليسوا مثاليين ، فإن ناحية الضعف فيهم هى حبهم للخصام والمشاجرة وإدمانهم على الشراب والميسر[٩٨] .

من هذا نلمح الميل إلى هدف تهذيبى خلقى ، وتاكيتوس ، كما وضح فيما سبق ، كاتب أخلاقى أكثر من كونه مؤرخا علميا ، فهو يريد أن يهذب ما عنف من مظاهر الحياة الجرمانية ويسخر فى نفس الوقت من مفاسد روما لعلها ترعوى ، لكن من المبالغه إن لم يكن من السخف أن نقول أن كتاب جرمانيا كتب فقط للتشهير بفساد روما كما قال البعض ، أو لتهذيب العناصر الجرمانيه . ليس هذا هو الهدف الرئيسى وأن تضمن بعضا منه ، ولا سيما وان تاكيتوس حاقد على النظام الامبراطورى وإنه لا شك كاتب خلقى من الطراز الأول ، وغاية ما يقال إنه كتب لبيان المقارنات والنقائض بين روما فى مفاسدها وتدهورها والجرمان فى حيويتهم وقوتهم وسذاجتهم[٩٩] .

على أن تاكيتوس لاحظ أن الامبراطورية الرومانية إذا ظلت سادرة فى غيها متراخية فى سياستها راكنة إلى حياة السلم والدعة ، وأنه إذا أضاف الجرمان شيئاً من التنظيم لقوتهم وشجاعتهم ، لأضحوا عدواً قاتلا للرومان . حقيقة أن الشعوب الجرمانية قد لعبت الدور الخطير فى سقوط الامبراطورية الغربية ، ورغم أن ذلك لم يحدث إلا بعد زمن تاكيتوس بمدة طويلة ، إلا أنه يدل من ناحية أخرى على أن تاكيتوس كان يتكلم بصوت التاريخ نفسه[١٠٠]

لكن هل حاول تاكيتوس فى كتابه جرمانيا ، تأييد أو تزكية أى نوع من السياسة المحددة تجاه الجرمان ؟ إن سياسة تراجان يحتمل أنها لم تكن واضحة فى ذلك الوقت ولكنها صارت السياسة المثالية بعد نهاية عهده . فالحدود الجرمانية يجب أن تراقب بشدة ويقظة ، لأن الجيوش الرومانية كان عليها أن تتوجه حينئذ إلى داكيا وبارثيا ، فلم يكن هناك غرض لفتح جرمانيا .

يقول تاكيتوس أن فتح جرمانيا يستغرق وقتاً طويلا جداً ، ولذا بات من المحتم على روما أن تلجأ فقط إلى سياسة التفرقة بين صفوف أعدائها ما دامت لم تستطع قهرهم ، وما دامت قد انصرفت عن تجديد الهجوم(١٠١) واقتحام جرمانيا . ولذلك لم تكن الاشارة فى كلام تاكيتوس إلى نهر الألب سوى آهات أسيفة على حلم قديم لم يتحقق ، ويرى تاكيتوس أن جرمانيا لا ينبغى بحال أن تعامل بالتساهل أو الغفلة أو الاستهتار ، فهى ستظل الخطر المهدد الدائم لروما طالما أنها لم تفتح(١٠٢) .

لذلك يبدو أن إشارات تاكيتوس واقتراحاته وما تضمنته الصورة التى صور بها الشعوب الجرمانية موجهة نفس الهدف الذى توجهت إليه السياسة الرسمية للدولة : غير أن هذه الاشارات لم تتمش فى نفس الوقت مع هذه السياسة حتى النهاية ، لأنه عندما يصور تاكيتوس سوء حظ الامبراطورية فهو يبدى تشاؤمه ، ووجهه نظرة متشائمة ، ويرى أن أحسن أيام روما قد انقضت ، وهذا على خلاف مادلت عليه سياسة تراجان وأعماله فقد دلت على أن امتداد الامبراطورية أو اتساعها يجب أن يتمشى مع المصلحة الامبراطورية ، بشرط أن يكون ذلك فى طاقتها وإمكانياتها . يقول تاكيتوس : (١٠٣)

« إن حرية الجرمان عدو أكثر خطورة من طغيان ملوك بارثيا » .

إذن يحقق تاكيتوس الجانب السياسي في كتابه عن جرمانيا ويوضح الاعتبارات التي تسيطر على السياسة الرسمية ، وذلك في دقة وصدق في الحدس والتقدير غير أنه ليس داعية ؛ وعلى أية حال ربما كان الجانب السياسي ثانوياً في هذه الرسالة .

° ° °

هل يمكن الاعتماد على هذا الكتاب كمرجع أساسي لفجر التاريخ الألماني؟ تتلخص قيمة هذا الكتاب في أنه شرح وسجل لفجر التاريخ الألماني ، كما هو الشأن في كتاب أجريكولا ، الذي تناول تاريخ بريطانيا الرومانية . فالقيمة التاريخية لكتاب جرمانيا بالغة الأهمية . وهذا بجانب أنه دراسة أثنوجرافية في كثير من نواحيها لوسط أوربا . وقد دلت المكتشفات الأثرية الحديثة على صدق أغلب المعلومات التي أوردها تاكيتوس ، مثال ذلك الزي والسلاح ؛ ورغم أن تاكيتوس أعتمد على من سبقه من المؤلفين القدماء ؛ في كثير مما أورد من الحقائق ، إلا أن اقتباساته لم تكن عن جهل أو تبعية مطلقة ، لمن قبله من الكتاب ، دون تمحيص أو نقد أو تدقيق ؛ فحيثما بدت له نقط الخلاف في أية ناحية ، سرعان ما يفطن إليها ، فهناك خبرته الشخصية ودراساته الواسعة ، فضلا عما أوتي من الفطنة واللوذعية وعمق التفكير وعدم الانسياق المطلق وراء الخرافات والشائعات .

لقد ميز تاكيتوس الجرمان في عصره بخصائص جثمانية معينة ، وإن بالغ في أنهم أنقياء جنسيا[١٠٤] ، غير أن الصورة التي صورهم بها من حيث أنهم كانوا من القوة والحيوية بحيث يحسب حسابهم في أوربا ، هذه الصورة واضحة بارزة وتكاد تكون ثابتة ولم تفقد خطورتها وخصائصها الجوهرية

حتى اليوم ، فهم يتميزون بتقديس الحرية والشعور الحاد بالشرف ، فضلا عن تمسكهم بطهارة الحياة المنزلية وعفتها ، ولهم فوق ذلك صفات حربية عالية ؛ وأن حملتهم هذه الصفات على الميل إلى إثارة الحرب ، وهذا بجانب استسلامهم إلى الكسل والتراخى زمن السلم .

وتدعى ألمانيا الحديثة أن منبع قوتها وحيويتها ومجدها إنما يرد إلى تقاليدها البربرية القديمة ؛ وأنها قد أدت مكرمة حين قبلت الحضارة اللاتينية ؛ فهى تمجد الرجل الطبيعى بكل فضائله ومساوئه ؛ على هذا النحو نظر الألمان المحدثون إلى كتاب تاكيتوس عن جرمانيا ، فصار يعلم فى المدارس والجامعات الألمانية بل أضحت له قدسية خاصة ؛ حتى أنهم يعدونه انجيل الوطنية الألمانية .

غير أن أهمية كتاب جرمانيا لم تقتصر على الألمان المحدثين فحسب ، بل أن صحة ما أورده تاكيتوس عن الشعوب الجرمانية فى هذا الكتاب ، وهم أسلاف أغلب سُكان أوربا المحدثين ؛ قد دعمتها المجموعات القانونية الجرمانية التى كتبت بعد عهد تاكيتوس مثل القانون السالى (Saliclaw) للفرنجة البحريين ، وقانون الفرنجة البريين (Ripuary Law) وقانون البرجنديين والقانون الإنجليزى والقانون اللومباردى ؛ ولهذا أهمية بالغة فى نظر جميع الأوربيين ، لأنه طالما كانت أصول النظم والشرائع للبلاد الأوربية تدرس فان هذه الرسالة ستظل ينظر إليها كواحدة من أعظم وأوثق ما خلفته العصور القديمة .

وجانب الضعف فى هذه الرسالة هو الناحية الجغرافية ، ولا شك أن كثيرا مما أورده من المعلومات الجغرافية كان سماعيا مختلطا بالخرافات ، كذلك يلاحظ تعصبه للرومانية وإهماله أهل الولايات فلم يعرها الالتفات الكافى من الدراسة الدقيقة لجميع نواحيها ، ثم إنه أخطأ فى نقط قليلة حين رفض أو أنكر وجود الرق فى جرمانيا .

التر جمـــة

القسم الأول

أصول الشعوب الجرمانية وعاداتها وتقاليدها ونظمها وحياتها الاجتماعية بصفة عامة

(١ – ٢٧)

جرمانيا

— ١ —

الوصف الجغرافى : الموقع — نهرا الراين والدانوب

يفصل نهرا الراين والدانوب جرمانيا[١٠٥] عن بلاد الغال ورايتيا[١٠٦] Rhaetia وبانونيا[١٠٧] ، كما تفصلها سلسلة الجبال الوعرة[١٠٨] عن سارماتيا Sarmatia وداكيا Dacia . ويحتضن المحيط سواحلها الشمالية بأشباه جزرها المتسعة[١٠٩] . ومن وراء أشباه الجزر توجد جزائر[١١٠] تقطنها شعوب وممالك لم تكن معروفة من قبل ، غير أن الحملات الحربية الرومانية كشفتها حديثاً ؛ وينبع نهر الراين من قمة وعرة عالية شديدة الانحدار فى جبال الألب بمنطقة رايتيا ، ثم ينحنى فى هدوء نحو الغرب إلى أن يصب فى المحيط الشمالى . أما نهر الدانوب فيجرى من منحدرات جبل أبنوبا Abnoba[١١١] المتـــدرجة ببطء ويمر بأوطان كثيرة حتى يصب فى بحر بنطس Pontus (البحر الأسود) خلال دلتا مكونة من ستة فروع ، وهناك فرع سابع اختفى فى المستنقعات[١١٢] .

— ٢ —

أصول الجرمان — كلمة جرمان وجرمانيا

ويبدو أن الجرمان أنفسهم عنصر وطنى أصيل يرجع إلى الوطن الألمانى نفسه[١١٣] ؛ ولم يختلط بغيره من الأجناس ، سواء جاء ذلك الاختلاط

نتيجة هجرات أو مصاهرات . والسبب فى هـذا أن المهاجرين فى العصور القديمة كان عليهم أن يسلكوا الطرق البحرية لا البرية [١١٤] ، غير أن المحيط المرعب اللانهائى ، إذا جاز وصفه كذلك ، قلما أبحرت فيه السفن من العالم الرومانى [١١٥] . وبجانب أهوال بحر عاصف مجهول ، من يرغب فى الرحيل عن آسيا أو أفريقيا أو إيطاليا ليزور جرمانيا ذات المسالك الوعرة والمناخ القاسى ؟ ثم هى فضلا عن ذلك (بلد) غير جذاب لكل سائح أو زارع ما لم يكن من بنيها .

ولقد مجد الجرمان فى أغانيهم القديمة ، التى تعد سجلاتهم أو حولياتهم الوحيدة ، الإله تويستو Tuisto الذى نبت من الأرض ، وكذلك ابنه مانوس Manus باعتبارهما الإلهين الخالقين لجنسهم ، وهم يعزون إلى الإله مانوس ثلاثة أبناء ؛ من أسمائهم [١١٦] ، أخذت العناصر الساكنة منهم بجوار المحيط إسم الإنجوفيين Ingaevones ، وأولئك المقيمون فى المنطقة الوسطى عرفوا باسم الهرمينيين Herminones وأخذ الباقون اسم الاستيفيين Istaevones .

ويسلم بعض الكتاب بصحة هذه النظرية القديمة [١١٧] ، ويؤكد هذا البعض بأن هناك سلالات أكثر لذلك الإله ، وأن من هذه السلالات اشتقت أسماء أخرى مثـل المارسيين Marsi والكمبريفيين Cambrivii والوندال Vandali [١١٨] ؛ وأن هذه هى الأسماء القديمة .

أما عن اسم جرمانيا فهى تسمية جديدة نظراً لأن أولى القبائل التى عبرت الراين وطردت الغاليين ، والتى تعرف الآن باسم التونجريين Tungri كانت تسمى فى ذلك الوقت بالجرمان . ورغم أن هـذه التسمية لقبيلة وليست

لشعب ، فانها انتشرت تدريجيا حتى عم استعمالها ، ومن ثم انتحلت جميع القبائل اسم « جرمان » بعد أن كان الفاتحون يستعملونه أولا لإثارة الرعب [١١٩].

— ٣ —

هرقل الجرمانى — أنشودة الحرب — أوليس

ويقول الجرمان بأن هرقلا Hercules [١٢٠] ، زارهم مرة ، وهم يتغنون بمحامده قبل أن يتغنوا بمحامد الأبطال الآخرين ، إذا تقدموا للدخول فى معركة . انتشر بينهم كذلك نوع آخر من أغانى الحرب ، يستثيرون شجاعتهم بأنشادها brritus ، على أنه لنوع الصوت نفسه أهمية خاصة فى التنبؤ وأخذ الحيطة للمعركة القادمة . ذلك أنه تبعاً لنوع الصوت الذى ينبعث من بين الصفوف يملأهم شعور بالفزع ، وهذا ليس مجرد صوت جهورى بل هو صيحة عامة مدوية لإظهار البأس والشجاعة : إن الصوت العنيف المدوى هو أحب الأصوات لديهم ، ولذا فهم يضعون دروعهم أمام أفواههم ليحيلوه أكثر قوة وارتفاعاً. ويعتقد البعض أن أوليس Ulysses [١٢١] ، قد ساقته الرياح ، فى مغامراته الأسطورية ، إلى هذا المحيط كذلك ، وأنه نزل فى جرمانيا ، وأن أسكيبورجيوم Asciburgium [١٢٢] ، وهو مكان يقع على نهر الراين ، ولم يزل عامراً بالسكان ، فى أيامنا هذه (أيام تاكيتوس) قد اكتشف بواسطته بل إنهم يقولون إن أوليس أوقف مذبحاً وأطلق عليه اسم أبيه لايرتس Laertes ؛ وقد اكتشف هذا المذبح منذ مدة طويلة فى نفس المكان ، وأن بعض النصب التذكارية والمقابر ، عليها كتابات اغريقية لم تزل

قائمة على حدود جرمانيا ورايتيا . على أنى لا أحاول إثبات هذه الأخبار أو نفيها ، فليتناولها كل قارىء بحسب ما يرى .

— ٤ —

نقاء الجنس الجرمانى — صفاتهم الجثمانية

أتفق مع أولئك الذين يقولون بنقاء الجنس الجرمانى ، وأن الجرمان لم يمتزجوا بالمصاهرة مع غيرهم من الشعوب الأخرى ، فهم فى كل مكان يتميزون بصفات جثمانية معينة : عيون حادة زرقاء وشعر أصهب مع بسطة فى الجسم ؛ وهذه الأخيرة تساعدهم فقط على الأعمال العنيفة ، غير أن طاقتهم على العمل اليدوى الشاق قليلة ، وكذلك هم أقل الشعوب احتمالا للظمأ والحر ، أما البرد والجوع فقد تعودوا على تحملهما نتيجة للمناخ والتربة .

— ٥ —

خصائص التربة والمناخ — الثروة النباتية والحيوانية — نظرة الجرمان إلى المعادن الثمينة — استعمال النقود — المقايضة — النقود المفضلة عند الجرمان

وأرضهم بصفة عامة ، تكسوها الغابات وتغطيها المستنقعات ، رغم أنها تختلف بعض الاختلاف من مكان لآخر ؛ وهى أغزر مطراً بجانب غاليا وأشد رياحاً عند نوريكوم Norricum ، وپانونيا Pannonia . وبينما

هي صالحة لإنتاج الحبوب ، فإنها لا تصلح لأشجار الفاكهة . ومواشيها الكثيرة دون المألوف من حيث الحجم أو جمال[١٢٣] الشكل ، إلا أن ميزتها الوحيدة هي وفرة أعدادها ، وهذه في الواقع مصدر ثروتهم الوحيد . ولقد حرمتهم الآلهة من الفضة والذهب ؛ ولست أدرى إن كان هذا الحرمان نعمة أو نقمة ؟ غير أني لا أستطيع أن أؤكد أن جرمانيا محرومة من عروق الفضة والذهب ، لأنه ، من الذى قام بالبحث والتنقيب[١٢٤] ؟ لم يعن الجرمان بحيازتهما أو استعمالهما إلا قليلا . ويمكن أن يرى بينهم أوانى من فضة ؛ وهذه قدمت هدايا لسفرائهم أو رؤسائهم ، إلا أن قيمتها فى نظرهم لا تعدو قيمة الأوانى الفخارية . وكيفما كان الأمر ، فان سكان الحدود منهم عنوا بالذهب والفضة لنفعهما فى الميدان التجارى ، كما أن هؤلاء السكان يعرفون النقود الرومانية ، بل إنهم يفضلون بعضها عن البعض الآخر ؛ أما القبائل الجرمانية البعيدة عن الحدود الرومانية ، فقد استمرت على النظام القديم القائم على المقايضة بالسلع . والنقود التى يفضلها الجرمان هى الدنانير القديمة المعروفة Denarii ، ذوات الحافة المشرشرة Serrati ، وكذلك النوع الذى يحمل صورة العربة ذات الحصانين[١٢٥] Begati ، ثم إنهم يؤثرون الفضة على الذهب[١٢٦] ، لا لولعهم بهذا المعدن الثمين بالذات ، ولكن لأن عدداً كبيراً من القطع الفضية أكثر نفعاً بين التجار المشتغلين بالسلع الرخيصة .

— ٦ —

أسلحتهم : السيف — الحربة — الدرع — النبال
— النشاب — بساطة أزيائهم — زخرفة الدروع
— ندرة القمصان الحديدية والمغافر — خيولهم
— قوة الرجالة — نظام التعبئة — عقوبة
المتخلى عن درعه

حتى الحديد لم يكن كثيراً عندهم [١٢٧] ، كما نستدل على ذلك من نوع أسلحتهم ، والقليل منهم من استعمل السيوف والحراب الطويلة ، والسلاح الذى يكاد يكون عاما بينهم ، هو الحربة ، المعروفة فى لغتهم باسم : Framea وتتميز برأس قصير مردف ، وهذه سهلة التناول عند الاستعمال فيستخدمونها عند الحاجة سواء عند الالتحام أو للرمى على بعد ، وليس لفرق الفرسان من سلاح سوى الحربة والدرع ، ولكن للرجالة ، فضلا عن هذين السلاحين ، نبال ونشاب ، ويكون مع الواحد منهم كميات كبيرة منها ، ويستطيع أن يقذف بها إلى مسافات بعيدة ، لأنهم غير مثقلين باللباس فهم إما عراة [١٢٨] أو ليس عليهم سوى دثار صغير خفيف ، فضلا عن أنهم لا يحفلون بالتسلح الثقيل ، ولهم عناية بزينة دروعهم فقط بالألوان المنتقاة [١٢٩] ، وقليل منهم لبس خوذة أو مغفر من المعدن أو الجلد. أما خيولهم فليست سريعة أو جميلة، ولم تدرب على المناورات أو الحركات الحربية كما هو المألوف عند الرومان، غير أنهم يركبونها إما إلى الأمام مباشرة أو بدوران خفيف نحو اليمين ، بحيث يبقى الصف الزاحف متماسكا ككتلة واحدة حتى لا يترك واحد منهم خلف الآخرين . وبصفة عامه ، تتركز قوتهم الأساسية فى فرق الرجالة ، وهذه تحارب مع الفرسان جنبا إلى جنب [١٣٠] ؛ ينتقى أفراد فريق الرجالة

واحداً واحداً من بين جميع الشبان ، ويراعى فى اختيارهم أن يكونوا أسرع العدائين وأخفهم حركة . يوضع هؤلاء فى الخطوط الأمامية ؛ وعددهم محدد بمائة من كل مقاطعة Canton ؛ والملاحظ أنهم عرفوا بين مواطنيهم بتسمية مشتقة من هذا الإجراء وهى المائة The Hundred ؛ ولذلك بعد أن كانت دلالة هذا اللفظ تنصب على مجرد عدد ، صارت لقب تشريف ؛ ويرتب مصاف القتال لديهم على شكل أسفينات Wedges [١٣١] ؛ ونظروا إلى التقهقر على اعتبار أنه حيـلة وليس جبناً ، بشرط أن يكون ذلك التقهقر لإعادة الكرة .

وهم يحملون قتلاهم حتى قبل أن يتقرر مصير المعركة ، وأسوأ مايلطخ به شرف الجرمانى ، هو التخلى عن درعه [١٣٢] ، ومن يثبت عليه هذا العار ، يعاقب بالحرمان من حضور الطقوس الدينية والاشتراك فى الجمعية العمومية ، ولذلك آثر الكثير ممن فروا من المعركة الانتحار بشنق أنفسهم تخلصاً من حياة دنسة مشينة .

— ٧ —

انتخاب الملوك والقادة — سلطتهم — سلطة الكهان القضائية — أسر المحاربين والحرب

الأصل النبيل هو الأساس فى انتخاب ملوكهم ، أما القادة [١٣٣] فالأساس فى اختيارهم هو الكفاءة والمقدرة . وليس لهؤلاء الملوك سلطة مطلقة [١٣٤] ، كما أن تمتع القادة بطاعة جنودهم ، لا يتوقف على مناصبهم بقدر توقفه على ما يبديه القادة من شجاعة أو مغامرة أو الجرى فى الصفوف الأمامية .

والكهان وحدهم السلطة فى فرض عقوبة الإعدام أو السجن ، أو حتى الجلد ، ومن هنا اعتبرت العقوبة تنفيذاً لأوامر الآلهة ، التى يعتقدون أنها تحضر مع المحاربين ، وليست مجرد قصاص أو تنفيذ لأوامر القادة . ثم إنهم يحملون معهم تماثيلا أو صوراً معينة (١٣٥) من غاباتهم المقدسة وهم فى طريقهم إلى المعركة ؛ على أن أقوى مثير لحماستهم هو مشهد أعز شىء لديهم ، فإن فرقهم الحربية لم تتكون من رجال جمعوا بمحض الصدفة أو عن طريق اجتماع طارىء ، ولكنها تتكون من الأسر والعشائر ؛ فيستطيع المحارب أن يسمع بالقرب منه عويل نسائه وصراخ أطفاله ، هؤلاء أعظم الشهود قداسة فى نظره ، وإنهم يتطلع لنيل أرفع أنواع التبرك والتشجيع المقدسة ، يحمل الجنود جراحهم إلى أمهاتهم وزوجاتهم فلا يبدى هؤلاء أية رهبة أو اضطراب من رؤية الجروح الكثيرة أو تضميدها ولا يتقاعدن عن تقديم الطعام وبث الشجاعة فى قلوب المحاربين .

— ٨ —

نساء الجرمان والحرب — مكانة النساء الجرمانيات

المتواتر عند الجرمان ، إن الجيوش التى تهم بالانسحاب تعاد ثانياً على أيدى النساء (١٣٦) ، وذلك بكشف صدورهن عارية واعتراض طريق المحاربين فيدرك هؤلاء مدى شناعة الأسر والسبى ؛ وهو أفظع ما يخشاه الجرمان من مصير لنسائهم أكثر من أنفسهم (١٣٧) ؛ ولذا تستطيع أن تتحكم فى شعب جرمانى إذا كان من بين الرهائن بنات من الأسر النبيلة (١٣٨) ؛ أكثر من هذا يعتقد الجرمان أن فى النساء عنصراً من القداسة والنبوة ، ومن ثم لا يشعرون بغضاضة إذا التمسوا منهن النصح ، ولا يغضون النظر عما يدلين

به . وعلى عهد الإمبراطور فسباسيان Vespasian تمتعت فيليدا Veleda[١٣٩] لمدة طويلة باحترام يقرب من التقديس عند كثير من الجرمان ؛ ومن قبلها ظفرت أورينيا Aurinia وكثيرات غيرها بمثل هذا الاحترام ، ولكن من غير إفراط فى التمسح بحيث يجعل من النساء آلهة[١٤٠] .

— ٩ —

معبوداتهم — عطارد — هرقل — مارس — إيزيس — معابدهم

والإله الرئيسى الذى يتوجهون إليه بالعبادة هو عطارد Mercurius[١٤١] فى أيام معدودة من السنة[١٤٢] يقدمون له القرابين حتى من الضحايا البشرية ؛ أما الإله هرقل والإله مارس Mars[١٤٣] ، فالقرابين التى تقدم إليهما من الحيوانات التى جرت عاداتهم بتقديمها . وهناك فريق من قبيلة السويف Suevi يقدم القرابين إلى الآلهة ايزيس Isis . لم أستطع أن أتبين سبب أو أصل هذه العبادة الأجنبية ، غير أن شعارها الذى جعل على شكل سفينة حربية خفيفة ، يدل على أن عبادتها مستوردة من الخارج . وفى نظر الجرمان ليس من المناسب لعظمة الكائنات السماوية أن توضع حبيسة بين الجدران أو أن تمثل بأى شكل يشبه الصورة البشرية ، ولذا كانت معابدها المقدسة هى الغابات والأحراش . وهم يخلعون أسماء الآلهة على تلك القوى الخفية التى لا ترى إلا بالعبادة الروحية فقط .

— ١٠ —

الفأل الطيرة — طريقة الاقتراع — الطيور — الخيل وطريقة استشارتها — المبارزة الفردية

وهم أكثر الناس اعتقادا فى الفأل والطيرة ، وطريقتهم فى الاقتراع واحدة على نسق واحد : ينتزعون غصنا من شجرة (١٤٤) فاكهة ويشقونه إلى عدد من الشرائح ؛ ثم يميزون هذه الشرائح بعلامات معينة ، ويلقونها مختلطة بعضها على رداء أبيض ؛ ويأتى الكاهن الخاص بالمقاطعة ، إذا كانت المسألة المقترح عليها عامة ، أو رئيس الأسرة إذا كانت خاصة ؛ وبعد القيام ببعض الطقوس للآلهة ؛ مع رفع طرفه إلى السماء باستمرار ؛ يلتقط ثلاث شرائح ؛ واحدة بعد أخرى ؛ ويقرأ الرموز التى على كل منها ويفسر ما تدل عليه ، فاذا جاءت النتيجة برفض المسألة أو المشروع المقترح عليه ؛ لا تكرر هذه العملية مرة أخرى فى ذلك اليوم على ذلك المشروع ؛ أما إذا كانت بالإيجاب كررت العملية . كذلك يتفق الجرمان مع الشعوب الأخرى فى التفاؤل بأصوات الطير وطرانه(١٤٥) ، غير أنهم يتميزون عن غيرهم بالتفاؤل بأصوات الخيل كذلك . والمعروف أن هذه الخيول معينة ؛ بشرط أن يكون لونها أبيضا ، ولم تدنسها الأعمال الدنيوية ؛ ويحتفظون بهذه الخيول ترعى فى الغابات المقدسة ، حيث تظل مكرسة للمسائل العامة . وطريقة استشارتها : أن تشد إلى العربة المقدسة ، ويصحبها كاهن المقاطعة أو الملك أو رئيس القبيلة ، ويلاحظ نوع صهيلها أو حمحمتها ؛ وليس هناك نوع آخر من الفأل أكثر ثقة من هذه العملية ، ليس فقط فى نظر العامة ، ولكن كذلك فى نظر النبلاء والملوك — ويرجع هذا إلى أن الكهان يعتبرون أنفسهم وزراء الآلهة والخيول فى نظرهم هى التى تدرك رغبات الآلهة(١٤٦).

هناك طريقة أخرى للتنبؤ بمصير الحروب الخطيرة، وهى أنهم يحاولون بطريقة ما أن يأسروا واحداً من أفراد القبيلة التى هم فى حرب معها، ثم يحملونه على أن يبارز واحداً منتخباً من بينهم، على أن يتسلح كل منهم بسلاح قبيلته؛ ويؤخذ انتصار أحدهما على الآخر نذيراً بالنتيجة المتوقعة.

— ١١ —

الجمعيات العمومية — مواعيد انعقادها — التوقيت بالليالى دون الأيام — حضور الجلسات بالسلاح الكامل — طريقة الإدلاء بالأصوات

وفى المسائل الصغيرة يتداول الرؤساء فقط، أما المسائل الكبرى، فلا بد من إشتراك جميع القبيلة فى مناقشتها، ولكن حتى إذا جاء القرار النهائى من جانب الشعب، فلا مندوحة من أن يتناوله الرؤساء [١٤٧] حتى يقتلوه بحثاً؛ واستثناء من الحالات الطارئة يجتمعون فى أيام معينة، إما عند ظهور الهلال، أو عند اكتماله بدراً؛ هذه هى الأوقات السعيدة التى يستهلون فيها التداول فى أى مشروع جديد؛ على أنهم لا يؤرخون مواقيتهم بالأيام كما نفعل نحن ولكن بالليالى [١٤٨]؛ وبهذه الطريقة ينظمون أعمالهم العادية كما يؤرخون لتعييناتهم الرسمية: فالليل فى نظرهم متداخل فى النهار. ومن الأمور التى يرونها منقصة لحريتهم، ألا يجتمعوا من تلقاء أنفسهم، أو عند صدور الأمر لهم بذلك، بل لا بد من التراخى يومين أو ثلاثة قبل عقد الاجتماع، حتى إذا اقتنعت جماهيرهم بالاجتماع، حضروا فى كامل ملابسهم بالسلاح [١٤٩]؛ وعندئذ يأمرهم الكهنة بالصمت لأن للكهنة فى هذه المناسبة سلطة الأمر وحفظ النظام. يفتتح الحفلة الملك

أو الرئيس أو غيرهما ممن يتميز بكبر السن أو الأصل النبيل أو موهبة حربية أو خطابية . ويتوقف انتباه الجماهير إليه على مدى ما يتمتع به من قدرة على التأثير ، لا بماله من سلطة رسمية ، فاذا عرض اقتراحا ولم توافق عليه الجمعية ، عبرت عن رفضها بالتذمر والدمدمة ، وفى حالة الموافقة رفع الأعضاء رماحهم وضربوها ببعضها البعض نظراً لأن صوت السلاح أشرف تعبير لديهم عند الموافقة والرضا .

— ١٢ —

سلطة الجمعية فى فرض العقوبات — أنواع العقوبات — انتخاب القضاة المحليين

تعرض الاتهامات على هذه الجمعية ؛ وتنظر فيها الجرائم الكبرى التى تستحق عقوبة الإعدام ، وتختلف العقوبة باختلاف الجريمة ، فالخونة والفارون من الجندية يعاقبون بالشنق على الشجر ، أما الجبناء والمراوغون [١٥٠] وأصحاب التصرفات الشاذة السيئة ، فيدفنون فى الطين أو فى مستنقع موضوع شبكة فوقهم [١٥٢] ، ومعنى هذا التفرقة فى العقوبة ، أن الجريمة فى نظرهم يجب أن يشهر بها ، أما الأعمال النذلة التى تقترن بعار أو خزى ، فهذه ينبغى أن تدفن حتى لا يراها أحد ، كذلك عقوبات الجرائم الصغيرة التى تختلف تبعاً لنوع الجريمة ، فالذى تثبت إدانته يغرم بدفع عدد معين من الخيول أو الماشية [١٥٣] ، على أن يدفع نصف الغرامة للملك أو الحكومة والنصف الآخر للمجنى عليه أو أسرته . وفى نفس جلسات الجمعية العمومية ينتخب القضاة الذين يمارسون أعمالهم فى المقاطعات أو القرى . ويساعد

القاضى فى دائرة عمله مائة شخص ينتخبون فى كل مقاطعة ، وعلى هؤلاء أن يحضروا مجالس القضاة لمعاونتهم بنصحهم ومالهم من نفوذ محلى .

— ١٣ —

حفل تنصيب الفارس — نظام الزمالة أو التبعية

لا يؤدى الجرمانى أعماله سواء الخاص منها أم العام ، إلا وهو فى سلاحه الكامل [١٥٣] غير أنه ليس من المباح لكل شخص أن يحمل السلاح مالم تختبر الدولة وقدرته وأهليته لاستعمال السلاح ، فاذا تأهل الشاب لذلك ، ينهض أحد الرؤساء أو الأب أو أحد الأقارب فى الجمعية العمومية ويقلد الشاب الدرع والرمح . وهذه الأسلحة أول شرف عام يناله الشاب ، ويقابل هذا التقليد ما يعرف عند الرومان باسم التوجا (Toga) [١٥٤] ؛ بهذا يصبح الشاب عضوا فى الدولة بعد أن كان من قبل مجرد عضو فى أسرته . وإذا كان الآباء من أصول نبيلة أو كانوا قد قاموا بأعمال جليلة للدولة ، صار من حق الأبناء أن يلقبوا بالرؤساء ، حتى ولو لم يزالوا مراهقين . يضم هؤلاء الشبان إلى رؤساء أنضج منهم من أصحاب الخبرة الطويلة المعروفة ، ولا يشعر الشاب بغضاضة أن يكون من بين أتباع أحد هؤلاء الرؤساء [١٥٥] . وللرئيس أن يرتب أتباعه فى درجات بحسب اختياره ، ولذا تنافس الشبان تنافسا حادا للظفر بالمكانة الأولى عند رئيسهم ؛ على أن هناك منافسة أخرى بين الرؤساء أنفسهم للحصول على أكبر عدد الأتباع وأكثرهم شجاعة وحماسة . فمن آيات قوة الرؤساء وعظمتهم ، أن يحيط الواحد منهم نفسه بأكبر عدد من الشبان المنتخبين ، هؤلاء مظهر الزينة والفخار فى السلم وعدة وأمان فى الحرب . ثم إن الشرف الذى يحوزه الرئيس بنسبة

عدد وشجاعة من يضم من الأتباع لا يقتصر على إبرازه داخل وطنه وقبيلته فحسب ، بل لهذا قيمته فى رفع مركزه فى نظر القبائل المجاورة ، فيصبح مقصدا للسفارات وتنهال عليه الهدايا ، حتى أن مجرد سمعته وشهرته غالبا ما تجعله فى موضع يستطيع معه أن يقرر الحرب .

— ١٤ —

شجاعة الرؤساء والأتباع فى الحرب — أهمية الحرب والغنائم

ومن العار على الرئيس فى ميدان الحرب أن يتفوق عليه أحد اتباعه فى المهارة ، كما أنه من العار على أتباعه ألا يحاسوا رئيسهم فى القدرة ، فحماية الرئيس والدفاع عنه ووضع كل الطاقة والشجاعة تحت تصرفه ، هذه أرفع رتب الولاء . وبينما يحـــارب الرؤساء من أجل النصر ، يحارب الاتباع من أجل رئيسهم . وإذا حدث وطال أمد السلم فى القبيلة ، ولم تقع حرب ، انتقل كثير من الشبان طواعية واختيارا إلى قبيلة أخرى تـكون مشتبكة فعلا فى حرب ، لأن الجرمان لا ركنون إلى الدعة أو يرضون عن السكون ، ولأن الشهرة أسهل منالا تحت أسنة الرماح . ومن ناحية أخرى لا يستطيع الرؤساء أن يحتفظوا بعدد كبير من الأتباع إلا عن طريق الحرب والقوة ، فالأتباع يتطلعون دائما إلى سخاء رئيسهم ليمدهم بالخيول الضمر والرماح المرهفة ، كما يطمعون منه فى إقامة الولائم السخية الحافلة (١٥٦) ، وهذا هو كل ما يتقاضونه من أجور . ولما كانت هذه غير كافية فى نظرهم ، فلا بد إذن من الحرب لا كتساب الغنائم والأسلاب لسد هذه المطالب . ومن الصعوبة بمكان أن تحمل الجرمانى على أن يحرث

الأرض ويبذرها ثم يصبر حتى يخرج زرعها السنوى ؛ ولكن من الأسهل أن يحارب عدواً للحصول على الأسلاب والغنائم . ويعتقد الجرمانى أن من التراخى والكسل أن تحصل بالعمل والعرق ما تستطيع أن تحصل عليه بالدماء.

— ١٥ —

أوقات الفراغ وحياة الكسل والاسترخاء — الهدايا وأهميتها

وإذا لم يكن الجرمان منشغلين فى أعمال حربية ، قضوا القليل من أوقات فراغهم فى الصيد ، والكثير فى الراحة والدعة : بين النوم والمائدة[١٥٧] . وأعظمهم بطولة وأشدهم ميلا إلى الحرب ، يضيعون أوقاتهم هباء ، تاركين مسئولية المنزل والأرض إلى النساء وكبار السن والجانب الضعيف من أعضاء الأسرة ، أما هم فيركنون إلى الاسترخاء والبطالة المطلقة . والواقع إن هذا مزيج غريب من التناقض فى طبيعتهم ، يحبون البطالة والكسل ويرغبون عن السلم والهدوء . وجرى العرف بين الدول الجرمانية أن تقدم لرؤسائها تقادم وهدايا اختيارية من الماشية والمحاصيل الزراعية[١٥٨] ، وهذه يقبلها الرؤساء باعتبارها رمزاً لما لهم من شرف ، وفى نفس الوقت تساعدهم على تكفية حاجاتهم الضرورية ، وأعظم ما يدخل السرور على قلب الرئيس أن تأتيه الهدايا من الدول المجاورة سواء جاءت من قبل الأفراد أو من قبل الحكومات . وهذه عادة تكون من الخيول المنتقاة والأسلحة الفاخرة والأدوات المنزلية الثمينة والسلاسل الذهبية . ولقد تعلموا من الرومان كيف يقبلون النقود كذلك[١٥٩] .

القرى والمساكن — تفرق المنازل — تدم استعمال الأحجار
استخدام الخشب — الطلاء الطيني — الكهوف
ووظيفتها المزدوجة

ومن المعروف جيداً أنه لا يوجد شعب جرماني يقطن المدن[١٦٠]، أو حتى يبني منازله مجاورة لبعضها البعض، فهم يعيشون متفرقين، كما لو كان هناك نبع أو مرعى أو غابة، تفصلهم وتفرقهم عن بعضهم البعض فلا تبنى قراهم على النمط الروماني بحيث تكون المنازل متجاورة أو ملتصقة بعضها، وإنما جرى كل شخص على إحاطة داره بفناء متسع إما لغرض الحماية من خطر الحرائق وإما لجهلهم بفن البناء، لم يعرفوا كيف يستخدمون الأحجار، ولكنهم استخدموا الكتل الخشبية في كل غرض، من غير تهذيب أو إصلاح. وعنوا بزينة بعض أجزاء المنزل، وذلك بطلائها بطبقة من طين معين لامع، بحيث تبدو للناظر كأنها طلاء أو نقش ملون، كذلك يحفرون كهوفاً في جوف الأرض ويغطونها بأكوام ضخمة من المهملات، وإلى هــذه الكهوف يأوون من قسوة الشتاء أثناء البرد القارس، كما يخزنون فيها محاصيلهم. وفي حالة هجوم العدو، تبقى هذه الكهوف بنجوة من النهب والتخريب، بينما تتعرض الأماكن الأخرى المفتوحة الظاهرة لسطو العدو. فهو لا يستطيع الوصول إليها لجهله بواقعها أو لأنه لا يرغب في إضاعة وقته بحثاً عنها.

عدم الرغبة بصفة البناء
الجهل في استخدام الاحجار

أزياؤهم — العباءة القصيرة — تميز الأثرياء —
جلود الحيوانات — أزياء النساء .

الزى العادى المألوف للجرمان : هو العباءة القصيرة Rheno أو Scagum[(١٦١)] وتربط بدبوس أو مشبك ، أما بقية جسمه فيترك عاريا : يقضى الجرمانى أياما طويلة بجانب المدفأة بدون أى كساء آخر غير هذا ، ولكن أثرياءهم يتميزون برداء محكم بحيث يبدى تقاسيم الجسم ولكنه ليس متدليا كما هو الشأن عند البارثيين أو السارمات . وكذلك يلبس الجرمان جلود الحيوانات المفترسة ؛ على أن القبائل الساكنة قرب الراين لا تعنى بانتقاء الجلود أو تهذيبها على عكس القبائل البعيدة فى الداخل ، فهذه تعنى أشد العناية بانتقائها وتهذيبها : ويرجع ذلك إلى أنهم لا يستطيعون الحصول على زى آخر عن طريق التجارة . ولذا تتخير هذه القبائل أنواعا معينة من الجلود وتزينها بقطع ملونة من فراء الحيوانات البحرية التى تعيش فى بحار بعيدة غير معروفة للرومان . ولا يختلف زى النساء عن زى الرجال فيما عدا أن لباسهن الداخلى يصنع من التيل المصبوغ باللون الأرجوانى ، وتكون السترة الخارجية من غير أكمام بحيث تترك أذرعتهن عارية وكذلك جزءاً من الصدر .

نظام الزواج — عدم تعدد الزوجات — الدوطة — تبادل الهدايا من الأسلحة والماشية — واجبات الحياة الزوجية

وقوانين الزواج عندهم صارمة ، والواقع ليس فى أخلاق الجرمان وتقاليدهم ما يستحق الإعجاب والاستحسان أكثر من هذه الناحية[١٦٢] : وهم تقريبا فريدون بين البرابرة من حيث إن الواحد منهم يقنع بزوجة واحدة ، والقليل النادر هو الذى يشذعن هذه القاعدة ، غير أن هذا كذلك ليس بدافع القوم الجنسى ولكن لأن الأصل النبيل أو المكانة الاجتماعية تجعل صاحبها فى حل من قبول أكثر من زوجة عن طريق الهدايا . وتعد هذه فى باب المصاهرات السياسية ، قصد تدعيم الروابط . وجرت العادة أن الزوج هو الذى يدفع الدوطة[١٦٣] وليست الزوجة ، يجتمع والدا العروس وأقاربها للموافقة على الهدايا ، وهذه لم تختر على أساس إدخال السرور على الزوجة أو إرضاء الذوق النسائى أو لزينة العروس ، ولكن الهدية لا تعدو أن تكون من الثيران وجواد ملجم ودرع وحربة وسيف . بهذه الهدية يتم الزواج ؛ ثم إن الزوجة تقدم له بدورها هدايا من الأسلحة ، ويتحقق أقوى رباط للزوجية بتبادل مثل هذه الهدايا ، كما يتقون حلول الأسر المقدسة وحضور آلهة الزواج على أن الزوجة لا تعتبر نفسها بمنأى عن الاهتمام بالأعمال الخاصة بالرجال أو أنها معفاة من أخطار الحروب ، فى حفل عقد القران تذكر دائما بأنها مقبلة على مشاركة زوجها فى السراء والضراء ، فى السلم

والحرب ؛ وهذا هو المعنى الذى يتضمنه تقديم الهدية من زوج من الثيران والحصان الملجم المهيأ للركوب وكذلك الأسلحة . على هذا الشرط يجب أن تعيش وتموت ، فهى تتسلم ما ينبغى أن تحتفظ به كاملا غير منقوص حتى تسلمه لأبنائها[١٦٤] ، وهكذا سوف يتسلم زوجات أبنائها ما يجب عليهن أن يسلمنه بدورهن إلى أحفادها .

— ١٩ —

عفة الجرمان — عقوبة الزنا — قصر الزواج على العذارى
— احترام الزوجة — جريمة تحديد النسل

وهكذا تعيش الجرمانيات فى عفة وطهارة ، غير معرضات للإغراء من المظاهر العامة أو الأشياء المثيرة فى الولائم والحفلات[١٦٥] ؛ والجرمان ، رجالا ونساءاً لا يعرفون شيئاً عن رسائل الغرام السرية ، والزنا فى ذلك المجتمع الكبير نادر جداً ، وعقوبته قاسية عنيفة ؛ ومن سلطة الزوج ، إنزال هذه العقوبة إن ثبت فسق الزوجة ، فيستطيع أن يعاقبها بحلق شعرها[١٦٦] ، وتجريدها من ملابسها فى حضرة أقاربها ، وله كذلك أن يطردها من منزله وأن يضربها بالسياط ويشهر بها فى شوارع القرية[١٦٧] . فليس لدى الجرمان فى الواقع أية رحمة أو شفقة بامرأة تدنس شرفها وعفتها ؛ ولا ينفع الخاطئة جمالها أو شبابها أو ثروتها فى الحصول على زوج ، لأنه لا يوجد بين الجرمان من يرضى عن هذه الخطيئة أو يتغاضى عنها ، أو يسلم بأن الفجور المتبادل يصلح سنة للحياة . ولعل أروع تقليد فى هذا الصدد ، هو ذلك الذى يسود بين هذه الشعوب ، وهو أنه لا يسمح بالزواج إلا للعذارى ، ومعنى ذلك أنها

لا تتزوج إلا مرة واحدة، فتنتهى بذلك آمالها ورغباتها . وكما أن لها جسداً واحداً وحياة واحدة ، فلن يكون لها سوى زوج واحد ، كما لن تتعدى رغباتها وأفكارها دائرة زوجها . ورابطة الزوجية [١٦٨] هى أسمى ما ينبغى على الزوجة أن ترعاها ؛ ومن العار على الزوجات أن يعملن على تحديد النسل أو قتل أولادهن [١٦٩] . وحسب الجرمان ما لديهم من تقاليد طيبة وعادات سليمة ، غناءً عن القوانين الحسنة فى أى مكان آخر .

— ٢٠ —

تربية الأطفال — تأخير سن الزواج — أهمية القرابة ونظام الوراثة

يترك الأطفال شبه عراة ، خلال تربيتهم ، فتنمو أجسامهم قوية ضخمة بحيث تثير دهشتنا ؛ والمعروف أن كل أم تتولى رضاعة أبنائها ، فلا تتركهم للخدم أو المرضعات ، ويتفق السيد مع العبد فى هذه التنشئة الأولى ، فلا يتميز الأول بأى نوع من التدليل أو الترفيه ، بعيش كلاهما وسط نفس الماشية وعلى نفس الأرض ؛ حتى إذا بلغا مرحلة النضج ، فرق العمر بينهما [١٧٠] ، كما تميز الكفاءة والمقدرة الحر عن العبد . ويتزوج الشبان فى سن متأخرة [١٧١] حتى لا تصاب قوتهم وشجاعتهم بأى ضرر أو ضعف ؛ وكذلك العذارى ؛ فلا بد من تساوى الجنسين فى نفس السن وفى نفس مرحلة النضج [١٧٢] ، حتى يرث الأبناء قوة آبائهم . والعادة أن يعنى بأبناء الأخوات أشد العناية بواسطة أخوالهم وآبائهم على السواء [١٧٣] ؛ ومنبع هذا التقليد هو احترام رابطة القرابة ، وهى الرباط الدموى ، أوثق الروابط وأقدمها

عند الجرمان ، حتى أنهم عند ما يأخذون رهائنا يصرون على أن يكون الرهائن من هذه الطبقه لاعتقادهم أن هذا يجعلهم أقوى تحكماً فى العواطف وأشد سيطرة على الأسرة . وكيفما كان الأمر فان ورثة الرجل وخلفاءه من بعده هم أبناؤه لصلبه ، دون حاجة إلى نص أو وصية ؛ وفى حالة عدم وجود أبناء فالورثة من بعدهم على التوالى هم : الأخوة والأعمام ثم الأخوال . وكلما كثر عدد أقرباء الرجل وأصهاره كلما كان نفوذه أقوى ولا سيما عند ما تقدم به السن ، ولذا لاميزة هناك ولا نفع لرجل فى جرمانيا أن يكون من غير أبناء .

— ٢١ —

توارث الخصومات والصداقات — علاج الخصومات — سخاء الجرمان وتقاليد الضيافة

من الالتزامات التى لا محرف عنها ، أن يرث الرجل خصومة أبيه وأقاربه فضلا عن صداقاتهم ، غير أن هذه الخصومات ليست مما يستحيل علاجه ، حتى القتل يمكن التكفير عنه بدفع دية أو تعويض (١٧٤) . وهذا يقدر بعدد معين من الماشية والأغنام ، ويعتبر مرضيا لجميع أعضاء الأسرة ؛ ومن ناحية أخرى يعد هذا العلاج سليما ومفيدا للصالح العام ، نظراً لخطورة الخصومات والحزازات فى مجتمع تمتع أفراده بالحرية .

لقد بز الجرمان غيرهم من الشعوب الأخرى فى الانصراف كلية إلى المآدب والضيافات والكرم (١٧٥) ؛ ومن العار لديهم أن يطرد المضيف ضيفا طرق بابه ، بل يستقبل ضيفه مرحبا ، ويقدم إليهم أحسن ألوان

الأطعمة ، باذلا أقصى ما تتحمله طاقته وموارده ، فإذا حدث ونفذ الطعام ثم جاءه ضيف متأخر ، اصطحبه فى الحال إلى أقرب جار له من غير دعوة ، ولا لوم عليه إن فعل ذلك . وفى المنزل الجديد يظفر الاثنان بكل ترحيب وإكرام ، فلا فرق هناك أو تمييز بين المعارف والأغراب بصدد حقوق الضيافة . وعند ما يستأذن الضيف للرحيل ، جرت العادة أن يهدى بأى شىء يطلب ، كما أن المضيف نفسه لا يستحى من أن يطلب هدية من ضيفه . ورغم أنهم يفرحون بالهدايا ، إلا أنهم لا ينتظرون مقابلا لما أعطوا ، أو يشعرون بحرج إذا أخذوا (فليس هناك أدنى تكليف بين الجرمانى وضيفه [١٧٦]) .

— ٢٢ —

أسلوب حياتهم — إدمانهم على الخمر — حفلاتهم مجالس للمداولات

تعود الجرمان على الاستيقاظ من نومهم متأخرين ، وغالبا ما يستحمون بالماء الساخن لبرودة الجو ، ثم يتناولون طعام الإفطار بحيث يجلس كل واحد منهم على منضدة خاصة ومقعد خاص [١٧٧] . بعد ذلك يتقلدون سلاحهم ويتوجهون إلى أعمالهم أو إلى الحفلات والولائم : وليس لدى الجرمانى أى غضاضة فى أن يمضى يومه وليله فى احتساء الخمر ، وتنتهى المنازعات التى تنشب عادة عند الشراب بالضرب والجراح [١٧٨] ، وقلما يفضها السباب اللاذع ؛ ومع ذلك فهم بصفة عامة ينتهزون فرصة هذه الحفلات ويتخذون منها مجالس للمداولات فى المسائل الجدية ، وحتى تقرير الحرب والسلام :

ويرجع هذا إلى اعتقادهم بأن مثل هذه المناسبة لا تعدلها مناسبة أخرى من حيث انطلاق النفوس على سجيتها وتفتح القلوب للاقتراحات الصريحة ، كما أنها تكون أكثر استعدادا للأعمال العظيمه . يتهز الجرماني هذه الحفلات فيفصح عما يكنه صدره من أعمق الأحاسيس والأسرار ، فليس في طبعه مكر أو خديعه ، وفي اليوم التالي تجدد المداولات[١٧٩] ؛ ولكل مناسبه في نظرهم أهميتها وفوائدها الخاصه . هم يتناقشون عند ما يعجزون عن النفاق والرياء ، ويحزمون أمرهم إذا تحقق لديهم الصواب .

— ٢٣ —

شرابهم وطعامهم — مساوىء انهما كهم في الشراب

وشرابهم عبارة عن عصير يستخرج من الشعير أو القمح (وهذا هو المزر) يصنع بطريقة خاصة حتى يصبح مثل النبيذ ؛ على أن الجرمان المقيمين قرب الراين يستطيعون الحصول على النبيذ الحقيقي بالشراء . أما طعامهم فساذج بسيط : فاكهة طبيعية ولحم صيد طازج ولبن خاثر أو زبادي . لا يجهدون أنفسهم في إعداد طعام شهي لدفع الجوع عنهم ، وعلى العكس من ذلك شرابهم ، حتى أن باستطاعتك أن تهزمهم بالسهولة التي يمكن هزيمتهم بها بالسلاح إذا أشبعت نهمهم في الشراب حسبما يرغبون .

— ٢٤ —

وسائل التسلية — الرقص بين الأسلحة — الميسر

المقامرة على حرياتهم

هناك مشهد واحد يكاد يكون عاما ، يبدو فى كل اجتماعاتهم حيث كانوا . يرقص الرياضيون عراة أو شبه عراة بين السيوف والحراب المشهورة فوق رؤوسهم ؛ ورغم مهارتهم ورشاقتهم فانهم لا يأخذون أجرا نظير عرض هذه الألعاب الشاقة الخطرة ، وغاية ما يتطلعون إليه هو إدخال السرور على قلوب النظارة . ومن العجيب أنهم يلعبون النرد باعتباره أمرا جديا ، وفى ساعات الجد ؛ ويحرصون أشد الحرص على الكسب ، بحيث أنهم إذا خسروا جميع ما معهم قامروا على حرياتهم الشخصية آخر الأمر ، ويصبح الخاسر فى هذه الحالة عبدا للكاسب ؛ وذلك باختياره دون أى تبرم أو تذمر ويعرض نفسه للرق والبيع (١٨٠) ، ولا يعفيه من هذا كونه أقوى من الكاسب أو حدث منه سنا . إلى مثل هذا الحد يصل عنادهم الفاسد ، أو شرفهم كما يعبرون هم عن ذلك ، والعادة أن يتخلص الكاسب من أرقائه بالبيع ، حتى يكون بنجوة من العار أو الخزى الذى قد يشعر به بسبب هذا النوع من الانتصار .

- ٢٥ -

الأرقاء وحالتهم — المحررون ووضعهم الاجتماعي

أما أرقاؤهم فلا يوزعون على أعمال معينة في الأسر التي يتبعونها كما هو الشأن عند الرومان ؛ ولكن لكل منهم منزله الخاص وأسرته الخاصة . وعلى العبد أن يدفع لسيدة قدرا معينا من الحبوب وعددا معينا من الماشية والملابس ؛ وتشبه هذه الإلتزامات تلك التي فرضت على المزارع . هذه هي كل رموز العبودية . [١٨١] أما الأعمال المنزلية في منزل السيد فهذه تتولاها الزوجة والأطفال ، وقلما عاقب سيد عبده بالجلد أو السجن أو أو التسخير في عمل قهري، أو أي نوع من أنواع المعاملة القاسية . حقيقة قد يقتل السيد عبده كما يقتل عدوا له ، لكن ذلك لا يتأتى إلا في حالات غضبة ، وفي مثل هذه الحالة لا يدفع السيد تعويضا أو دية . ولا يختلف الوضع الاجتماعي للمحررين عن وضع الأرقاء في شيء ، سوى أن المحررين أرفع قليلا من العبيد ، وقلما كان للمحررين أي أثر أو نفوذ في الأسرة ، أما بالنسبة للدولة فلا وزن لهم إطلاقا ، غير أن في الدول التي يسود فيها النظام الملكي [١٨٢] ، ترتفع منزلة المحررين بحيث تعلو حتى على منزلة الأحرار والنبلاء ، ويعتبر إنحطاط منزلة المحررين في الدول الجرمانية الأخرى وصمة لحريتها .

— ٢٦ —

الرهن والربا — نظام توزيع الأراضى — العناية بزراعة القمح فصول السنة عند الجرمان

وليس من المعروف عندالجرمان إقراض النقود نظير رهن أوربا[١٨٤] ولذا كان جهلهم بهذه العملية بديلا عن وجود تشريعات لتحريمها .

ويقضى نظام تقسيم الأراضى لديهم ، بتوزيعها على القرى ، توزيعا يتناسب مع عدد الزراع ، ثم يوزع نصيب كل قرية إلى حصص بين الأفراد تتناسب ورتبه الفرد[١٨٥] ، ومن السهل القيام بهذه العملية ، وتغيير التقسيم فى كل سنة نظرا لاتساع مساحة الأرض ، فهم أبدا يزرعون أرضا جديدة كل عام ؛ ورغم ذلك تبقى مساحات كبيرة فائضة عن الحاجة . وقد أفادتهم خصوبة التربة فضلا عن اتساعها فى عدم بذل الجهود الشاقة لاستثمارها . وكل ما يعنى به الجرمانى هو زراعة القمح ، أما حدائق الفاكهة أو حتى مجرد تسوير المرعى فلا يعبأون بها ، ولما كانت عنايتهم منصبة على زراعة القمح فقط فقد انقسمت السنة عندهم إلى فصول أقل مما هو معروف عند الرومان فلا يعرف الجرمانى سوى الشتاء والربيع والصيف ، معنى واسما ، أما الخريف[١٨٦] فلا يعرفون إسمه أو خصائصه النباتية .

— ٢٧ —

طقوسهم الجنائزية — حرق جثث الموتى — بساطة القبور
عدم إقامة نصب تذكارية — سرعة التخلى
عن مظاهر الحزن

وجنازاتهم بسيطة لا فخافة فيها[١٨٧] ، والقاعدة الوحيدة التى يراعونها هى حرق أجساد الشخصيات البارزة ، بأنواع معينة من الخشب ؛ وجرت عاداتهم أن يلقوا فى النار سلاح الميت فقط وأحيانا جواده[١٨٨] ، لكنهم لا يلقون فيها ملابسه أو عطوره ، ولا يعدو القبر عندهم عن كومة مرتفعة من الأعشاب لأنهم يأنفون من إظهار أى نوع من التكريم أو التشريف لمن مات ، بإقامة نصب حجرية فخمة مرتفعة ، لأن مثل هذه النصب ليست سوى حمل ثقيل فوق الميت . وسرعان ما يتخلون عن البكاء وإذراف الدموع ، وإن كان حزنهم وأسفهم لا ينقضى بمثل هذه السرعة . ويرجع ذلك إلى اعتقادهم بأن النحيب أو البكاء من خصائص النساء ، أما الرجال فيستطيعون كبت عواطفهم .

(هذا بصفة عامة ما تمكنت من جمعه عن أصول الشعوب الجرمانية وعاداتهم ككل ؛ والآن سوف أتعرض إلى نظمهم وأديانهم وطقوسهم لكل قبيلة على حدة ؛ موضحا إلى أى حد تختلف إحداها عن الأخرى ومبينا الشعوب التى هاجرت من جرمانيا إلى غالة[١٨٩] .)

القسم الثاني

القبائل الجرمانية

الخصائص المميزة لكل قبيلة من حيث النظم والعقائد والتقاليد والأحوال العامة

(٢٨ – ٤٦)

— ٢٨ —

قوة الغاليين الأولى — الهلفيتيون البويء — الأرافسكيون — والأوسيون ـ التريفوريون. والنرفيون ـ الفانجيونيون ـ والتريبوكيون والنمتيون والأوبيون

قال يوليوس العظيم، أقدر مؤلف، إن الغاليين كانوا يوما ما سادة الجرمان(١٩٠).

ونحن بالتالى، نعتقد أن هؤلاء الغاليين عبروا إلى جرمانيا على عهد سطوتهم؛ فليس هناك ما يفصلهم عنها سوى نهر أو مجرى، ليس بعقبة ذات بال أمام شعب نمت قوته، وقرر أن يغير أماكن استقراره، وأن يحتل أرضا جديدة ليست مملوكة لأحد، ولم يتقاسمها بعد الملوك الأقوياء: لذلك احتل الهلفيتيون(١٩١) Helvetii والبويىء Boii(١٩٢). وكلاهما من غاله، المنطقة الواقعة بين غابة هركينية Hercynius Saltus ونهر الراين والمين: وكذلك احتلت هذه القبائل الأراضى الواقعة فيما وراء هذه المنطقة، ولم يزل اسم بوهيميا Boihaemium قائما إلى اليوم علما على التاريخ القديم لهذه المنطقة حتى بعد أن تغير سكانها(١٩٣)، وليس من المحقق ما إذا كانت قبيلة الأرافسكيين Aravisci(١٩٤)، هى التى هاجرت إلى بانونيا من بلاد الأوزيين Osi الجرمان(١٩٥)، أو أن الأخيرين هم الذين هاجروا إلى جرمانيا من بلاد الأرافسكيين؟ فلغة كليهما ونظمهما وعاداتهما لم تزل متشابهة. هذا ويلاحظ أن جانبى الراين كانا قديما متساويين من حيث الجدب والخلو، ولذا فقد كان لهما نفس التأثير الواحد، سواء فى الاجتذاب إليه أو فى البعد عنه.

أما قبائل التريفريين Treveri والنرفيين Nervii [١٩٦] ، فهي شديدة الحرص على الادعاء بأن أصولها جرمانية ، لاعتقادها أن هذا الأصل المجيد يبعدها عن الغاليين الذين يشبهونها في الصفات الجثمانية فضلا عن صفة التخنث . ومن القبائل الساكنة على شاطىء الراين : قبائل الفانجيين Varngiones [١٩٧] ؛ ولا شك هناك في الأصل الجرماني لهذه القبائل . ثم إن قبائل الأوبيين Ubii [١٩٨] رغم أنهم امتازوا عن غيرهم بأن صاروا مستعمرة رومانية . ويفضلون في نفس الوقت بأن ينعتوا بالأجريبينيين Agrippinenses ، نسبة لأجريبنا Agrippina مؤسسة [١٩٩] مستعمرتهم ، فلنهم لا يأنفون من أصلهم الجرماني ؛ عبر هؤلاء الأخيرون نهر الراين منذ الزمن القديم ، واستقروا على شاطئه الأيمن ، وأضحوا موالين للرومان ؛ وهم بهذا الوضع ليسوا تحت الرقابة الرومانية ، بل على العكس يقومون بمهام الحراس والحامية ضد الغزاة .

— ٢٩ —

البتافيون — الكاتيون — الماتياكيون — سكان الأراضي العشرية

تعتبر قبائل البتافيين Batavi أشهر هذه القبائل جميعا قوة وشجاعة، يشغل البتافيون مساحة صغيرة على شاطىء الراين فضلا عن جزيرة صغيرة داخل النهر [٢٠٠] .

كانوا قبل ذلك فرعا من مجموعة الكاتيين Catti ، غير أنهم انفصلوا عنها على أثر انقسامات وحروب داخلية ، هاجروا بعدها إلى أماكنهم الحالية

حيث عدوا جزءاً من الامبراطورية الرومانية . وما يزالون يتمتعون بالامتيازات التي حصلوا عليها قديما[٢٠١] فلا تطلب منهم جزية ، ولا يضارون من قسوة جباة الضرائب ، ثم أنهم معفون من جميع الأعباء المالية ، عادية كانت أم طارئة ، ولكنهم مدخرون فقط للأغراض الحربية ، وهم فى ذلك يشبهون الأسـلحة والحراب التي لا تستعمل إلا في الحرب فقط . كذلك كان خضوع قبائل الماتياكين Mattiaci [٢٠٢] على هذا النحو ، وهؤلاء يقيمون على الراين ؛ وهذا دليل على عظمة الرومان الذين نشروا الولاء والاحترام نحو الامبراطورية فيما وراء الراين والحدود القديمة ، ومن الناحية الجغرافية يسكن الماتياكيون على الجانب الجرماني من نهر الراين ، وهم ، معنا قلبا وقالبا ، ويشبهون قبائل الباتافين من جميع الوجوه ؛ فيما عدا أن الماتياكين لا يزالون يتمتعون بالقوة والحيوية التي يستمدونها من تربة موطنهم ومناخهم . أما أولئك الذين يزرعون الأراضى العشرية Agri Decumates[٢٠٣] ، فلا أميل إلى اعتبارهم ضمن الشعوب الجرمانية رغم أنهم يقيمون في المنطقة الواقعة بين الراين والدانوب . ويرجع ذلك إلى أن بعض المغامرين الغالبين ، قد دفعتهم الحاجة فاحتلوا هذه الأراضى التي لم تكن مملوكة لأحد ؛ على أن حدودنا امتدت إليها بعد ذلك ، وأقيمت سلسلة من المواقع الدفاعية حتى صارت هذه المنطقة تخما للامبراطورية وجزءاً من ولاية رومانية[٢٠٤] .

— ٣٠ —

قبائل الكاتيين

مساكنهم — صفاتهم الجثمانية والعقلية — حسن نظامهم — قوة الرجالة عندهم

وفيما وراء القبائل السابقة ، تقطن قبائل الكاتيين Catti[٢٠٥] ، وتمتد مساكن هؤلاء من غابة هركينيا Hyrcinia إلى ما والاها ، وذلك فى منطقة ضيقة قليلة المستنقعات ، على عكس المناطق الجرمانية الأخرى . وتتكون بلادهم من سلسلة الهضاب التى تضيق تدريجياً ، وتحاذى غابة هركينيا جميع بلاد الكاتيين حتى نهايتها ؛ ويتميز الكاتيون بالقوة الجثمانية الفائقة ، مع قوة السيقان ووحشية المظهر ؛ أما قوتهم العقلية فخارقة للعادة ، وهم كغيرهم من الجرمان يتمتعون بنسبة عالية من الذكاء بجانب رزانة وحكمة . يرشحون القادرين منهم لقيادتهم ثم يطيعونهم بعد الاختيار ، ويعرفون كيف يحافظون على مراكزهم وكيف ينتهزون الفرص ، ولا بأس لديهم أن يحجموا نزواتهم فيؤخرون هجومهم . وعملهم اليومى موزع بغاية الدقة والأحكام ، كما أن دفاعهم بالليل مدعم مركز ؛ ينظرون إلى الحظ بعين الشك أما الكفاءة أو المقدرة فهى لا تخطىء فى نظرهم . وفى المسائل غير العادية والتى تحتاج إلى نظام أو ترتيب معين ، يعتمدون على القائد أكثر من اعتمادهم على الجيش ، على أن قوتهم الأساسية تتركز فى فريق الرجالة ، وعلى هذه الفرق أن تحمل معها آلات الحصار والمؤنة فضلا عن أسلحتها . وبينما ترى القبائل الجرمانية الأخرى متحركة إلى موقعة فان الكاتيين لا يرون إلا سائرين نحو الحرب ، وقلما شغلوا أنفسهم بمجرد الغزو الخاطف أو الحرب السريعة الفجائية ،

لأن مثل هذه الحركات فى الواقع من اختصاص فرق الفرسان ، التى تتميز بالهجوم السريع والتقهقر السريع ، أما فرق الرجالة فالسرعة فى نظرها قرين الجبن ، على عكس التحركات البطيئة فهى أقرب إلى الشجاعة الراسخة المتمكنة .

— ٣١ —

قبائل الكاتيين — تابع

تقاليدهم الحربية — إطالة الشعر — لبس الطوق الحديد

سهم الشيب فى الحرب

هناك تقليد لم يمارس إلا نادرا بين القبائل الجرمانية الأخرى ، ولم يقم به سوى أفراد قلائل لاعتماده على المغامرة الفردية ، غير أنه صار قاعدة عامة عند الكاتيين . وخلاصة هذا التقليد ، هو أنه بمجرد أن يصل الشخص إلى مرحلة النضج أو من الرجولة ، يترك شعر رأسه ولحيته ينمو ويطول[٢٠٦] ولا يزيله إلا بعد أن يقتل عدوا له ، وهذا فى نظرهم عهد أو نذر لا فكاك منه إلا بعد اثبات شجاعته . وعلى الدماء التى أريقت يحلق الشعر ، وعندئذ يصيحون : الآن قد دفعنا ثمن حياتنا وأثبتنا جدارتنا وأهليتنا للوطن وللوالدين .

أما الجبناء والمخنثون فيظلون على منظرهم الأشعث ، كذلك يلبس شجعانهم أطواقا من حديد[٢٠٨] (يتضمن لبس هذا الطوق فى نظر الكاتيين معنى الخزى والعار) وهذه فى اعتبارهم قيود لا يتخلصون منها إلا بقتل عدو . يأخذ أغلب الكاتيين بهذه التقاليد وحتى الشيب منهم لبدوا بمعزل

عنها ، وهكذا يبدون للأصدقاء والأعداء على السواء ، بل إن معاركهم تبدأ بهؤلاء المحاربين الشيب ، الذين يقفون فى الخطوط الأمامية ، وهذا بحق مشهد مرعب غير مألوف ، وحتى فى وقت السلم ، لا يحاولون أن يخففوا من وحشية مظاهرهم ، لا تشغلهم منازل أو أراضى أو أى مسئوليه أسرية ، فأى شخص قصدوه أضافهم وأمدهم بما يحتاجون اليه ، وبينما هم يطمعون فى أملاك الغير ، لا يعبأون بأملاكهم ويظلون كذلك حتى تعجزهم الكهولة عن ممارسة مثل هذه الاساليب الحربى العنيف[٢٠٩] .

— ٣٢ —

الأوسيبيون — التنكتيريون وفروسيتهم — توريث الخيول لأقدر الورثة

يلى الكاتيين على شواطىء الراين ، الذى أصبح الآن معروفاً جيداً ويعتبر كحد كاف ، قبائل الأوسيبيين Usipii والتنكتريين Tencteri[٢١٠] وبالإضافة إلى شهرة القبائل الأخيرة فانها تتميز كذلك بحسن نظام فرسانهم. على أن رجالة الكاتيين ليست أكثر شهرة من فرسان التنكتريين . لقد ورث التنكتريون الفروسيه عن أسلافهم ، وظلت العصور المتأخرة تتحدث عنها ؛ فركوب الخيل رياضة أطفالهم ومجال المنافسة بين شبانهم، حتى الكهول منهم لم يتخلوا عنه . وجرت عادتهم أن تورث الخيول مع المتاع والعبيد وغيرها من مواد الإرث العادى ، ولكن الخيول لا تؤول كثيرها من متاع البيت إلى الولد الأكبر ولكنها من حق أشجع الورثة وأقدرهم .

— ٣٣ —

البروكتيريون وصلفهم ووحشيتهم — إبادتهم — أهمية الانقسام بين الجرمان فى نظر المصالح الرومانية

كان البروكتيريون Bructeri [٢١١] يقيمون فيما وراء التنكتريين ولكنهم زالوا الآن. وحل محلهم قبيلتا الشامافيين Chamavi والانجريفاريين Angrivarii [٢١٢] فقد تكون حلف من هاتين القبيلتين والقبائل المجاورة وطرد البروكتيريين وأبادهم نهائياً [٢١٣]. وربما كان ذلك بسبب كبريائهم وصلفهم وعنجهيتهم [٢١٤]، أو بدافع الطمع فى أسلابهم، أو لأن الآلهة كانت رحيمة شفيقة بالرومان ؛ كافأتنا الالهة، فأتاحت لنا فرصة مشاهدة الوقعة، حيث قتل أكثر من ٦٠ ألف جرمانى ؛ ولم يكن ذلك بسيوف الرومان أو رماحهم ولكن بسبب العداوات المتبادلة، وهذا أعظم وأروع مما أبهج نواظرنا [٢١٥]. أبتهل إلى الله أن يظل الجرمان، إن لم يكونوا على حبنا والولاء لنا، فعلى الأقل على كراهة بعضهم البعض، وهذا ما تحتمه مصلحة الامبراطورية، فالحظ لا يسعفنا كثيراً بقدر ما يفيدنا الانقسام بين أعدائنا .

— ٣٤ —

الدولجيبينيون — والشاسوريون — الفريزيون وأقسامهم ومواطنهم

وتقيم خلف الانجريفاريين والشامافيين قبائل الدولجيبينيين Dulgibini والشاسوريين Chasauri (٢١٦)، وكذلك شعوب أخرى غير مشهورة. (٢١٧) أما مساكن الفريزيين Frisii (٢١٨) فتقع غربي هذه القبائل وتبعاً لاختلاف الفريزيين في القوة انقسموا إلى فرعين هما : الفريزيون الكبار Greater Frisii والفريزيون الصغار Lesser Frisii ؛ تمتد مواطن هذين القسمين على جانب الراين حتى المحيط وحول بحيرات واسعة (٢١٩) استطاعت الأساطيل الرومانية أن تمخرها وأن تكشف المحيط عن طريقها في هذه المنطقة. والمتواتر عن أعمدة هرقل Pillars of Hercules (٢٢٠)، لم تزل موجودة على ذلك الساحل فهل زار هرقل حقيقة ذلك المكان؟ أو أن هذا مجرد ما تعودنا عليه في نسبة أي عمل عظيم أو مشهور في أي مكان إلى ذلك الاسم الشهير؟ إن محاولة دروسس قاهر الجرمان (٢٢١) Drusus Germanicus لكشف تلك الأجزاء مغامرة كافية فإن المحيط قد حال دون إيغال المكتشفين داخل أسراره الغامضة وأسرار هرقل. ومنذ ذلك الوقت لم يقم أحد بأية محاولة للكشف، ومن الحكمة أن نسلم فقط بما فعلته الآلهة دون أن نفحص هذا العمل.

— ٣٥ —

قبائل ألمانيا الشمالية — الشوكيون ومساكنهم — نبلهم — شجاعتهم

إلى هنا نكون قد أكملنا وصف الجزء الغربى من جرمانيا . وتحتاج المناطق الشمالية فيها إلى دراسة أوسع . وأول شعب فى هذه المناطق هو شعب الشوكيين Chauci(٢٢٢) وتبدأ مساكنه من حيث تنتهى مساكن الفريزيين وتضم جزءاً من ساحل المحيط وتمتد إلى مسافات بعيدة ، بحيث تحاذى مساكن جميع القبائل التى سبق ذكرها ثم تنتهى هذه المساكن بانحناء حتى تلتقى بمساكن الكاتيين . ورغم سعة هذه المساحة التى يشغلها الشوكيون ، فانها مزدحمة بأعدادهم الكثيفة ؛ ويعد الشوكيون أنبل القبائل الجرمانية ، إذ اختاروا أن يقيموا عظمتهم وشهرتهم على أسس من العدالة دون عنف أو بطش ، فهم لا يثيرون الحروب ، ولكن يعيشون فى سلم من غير مطامع أو نزق ، ولم تدفعهم الرغبة فى النهب أو السلب إلى الاعتداء على الآخرين . والواقع أن احتفاظهم بسيادتهم وسمو منزلتهم دون إنزال أى ضرر بالغير ، لهو دليل قوى على مدى ما يتمتعون به من قوة ومقدرة ، ومع ذلك فهم عند الثورة يستطيعون إعداد أى جيش على الفور بأعداد ضخمة من الرجال والخيول ، وعلى تمام الأهبه بالقوة والسلاح ، وحتى فى أيام السلم يتمتعون بنفس الشهرة والسمعة .

— ٣٦ —

الشيروسكيون وضعفهم — خضوعهم للكاتيين

وبجوار الشوكيين ، تقيم قبائل الشيروسكيين Cherusci (٢٢٣) . وهؤلاء طالت سلامتهم وعافيتهم حتى ضعفوا . ورغم ما فى هذا الأسلوب من الحياة من راحة ودعة إلا أنه سيء العواقب على شعب يعيش بين شعوب قوية طامعة معادية ، حيث لا يوجد سلم بالمعنى الحقيقى . فعندما تدعو الحاجة إلى حمل السلاح ، ليس للأناة أو العدالة أى معنى إلا عند أصحاب الكفة الراجحة ، ولذا فان الشيروسكيين الذين طالما نعتوا بالطيبة والعدالة ، صاروا ينعتون الآن بالجبن والحمق ، كما صار الانتصار عند الكاتيين الظافرين الذين أخضعوا الشيروسكيين مرادفاً للحصافة أو الحكمة . وصحب سقوط الشيروسكيين سقوط الفوسيين Fosii (٢٢٤) . وهم قبيلة مجاورة جرى عليها ما جرى على جيرانهم الشيروسكيين من كوارث ، رغم أنهم كانوا دونهم أيام اليسر والرخاء .

— ٣٧ —

الكمبريون وشهرتهم التاريخية — الحروب الجرمانية الرومانية

ويسكن الكمبريون Cimbri على شاطىء المحيط فى نفس ذلك الركن البعيد من جرمانيا (٢٢٥) ، وهم شهرة عظيمة فى التاريخ ، ولكن بلادهم الآن لا تعدو ولاية صغيرة جداً (٢٢٦) رغم أن آثار عظمتهم السالفة لم تزل منتشرة فى البلاد الواسعة التى استقروا فيها على جانبى نهر الراين .

وتدل سعة هذه المساكن على قوتهم وكثرة أعدادهم وتحركاتهم الواسعة .
وفي عام ٦٤٠ من تاريخ روما، وخلال قنصلية كايكليوس ميتلوس Caecilius Metellus وبابريوس كاربو Paperius Carbo ، سمعنا لأول مرة عن غزوة الكمبريين . وتقدر الفترة من تلك السنة حتى عهد القنصلية الثانية للامبراطور تراجان[٢٢٨] بنحو ٢١٠ سنة ، وهذا هو الوقت الذي استغرقته عملية إخضاع جرمانيا . وخلال هذه الفترة قتل كثير من الجانبين وبلغت خسائرنا في حروب الكمبري مبلغا كبيرا ؛ بحيث لا يمكن قياسه بتلك التي تكبدناها في حروبنا مع السامنيين Samnites أو القرطاجنيين Carthaginians أو مع أسبانيا أو مع الغال أو حتى مع البارثين Parthians . حقا أن حرية ألمانيا أو استقلالها أشد خطرا علينا من بطش الأرسكيديين Arsacides[٢٢٩] .

أما بعد ، ما الذى بقى للشرق أن يعيرنا به بغير مقتل كراسوس Crassus ؟ حقيقة فقد الشرق بعد ذلك باكورس Pacorus[٢٣٠] ولقى الذل تحت أقدام فنتيديوس Ventidius[٢٣١] ، ولكن الجرمان قد أبادوا كاربو Carbo وكاسيوس Cassius ؛ وأوروليوس سكورس A. Scaurus وسرفليوس كابيو Ser. Caepio ومانليوس ماكسيموس Manlius Maximus[٢٣٢] ، وحرموا الرومان من خمسة جيوش قنصلية ، ثم أبادوا فاروس Varus قائد أوغسطس[٢٣٣] وثلاث فرق[٢٣٤] ، بل أن انتصار كايوس ماريوس Caius Marius[٢٣٥] على الجرمان في إيطاليا لم يكن من غير خسارة فادحة ، كما أن يوليوس المقدس حطمهم في غالة وحطمهم دروسس Drusus[٢٣٦] ونيرون Nero[٢٣٧] وجرمانيكوس Germanicus في بلادهم[٢٣٨] ؛ وسرعان ما استحالت تهديدات كايوس كاليجولا C. Caligula

العنيفة إلى قصة هزلية ، إذ تلا ذلك مباشرة عقد هدنة معهم ، فاستطاع الجرمان أن يستغلوا انقساماتنا وحروبنا الداخلية ؛ واقتحموا الثكنات الشتوية لجيوشنا وحاولوا الاستيلاء على الغال ؛ وللمرة الثانية طردوا منها ، وفي الأيام الأخيرة أستطعنا أن ننتصر عليهم لكنا لم نقهرهم[٢٤٠] .

— ٣٨ —

السويف وفروعهم

سعة أوطانهم — تقاليدهم — عادة إرسال الشعر وعقده

علينا الآن أن نتكلم عن السويف Suevi [٢٤١] الذين لا يكونون شعبا قائماً بذاته ، مثل الكاتيين أو التنكتريين ولكنهم يشغلون أكثر من نصف جرمانيا ، ولا يزالون موزعين بأسماء مختلفة رغم أنهم جميعا يعرفون بالإسم العام وهو السويف . من خصائص هذا الشعب أن يترك أفراده شعورهم مرسلة خلف الرأس ، مع ربطه بعقدة . وهذا يميزهم عن بقية القبائل الجرمانية ، كما أن هذا التقليد نفسه بينهم يميز الحر عن العبد[٢٤٢] ، ثم إن الشعوب الأخرى التي لها صلات بالسويف قد أخذت بهذا التقليد ، ولكنه نادر بينهما ، وبصفة خاصة لا يراعى إلا في مرحلة الشباب فقط . أما السويف فيحتفظون به حتى المشيب ، وغالبا ما يعقدون شعورهم على قمة رؤوسهم ؛ ويعنى الرؤساء منهم بهذا التقليد عناية خاصة من باب حسن المظهر . ولكن في غير تخنث أو ميوعة ، فهذا التقليد هو زينتهم عند التقدم للحرب حتى يبدون أطول قامة وأكثر إرهابا لعدوهم .

— ٣٩ —

السمنونيون أقدم فروع السويف وأنبلهم —
طقوسهم الدينية — كثافة أعدادهم

وأقدم فروع السويف وأنبلهم فرع السمنونيين Semnones [٢٤٣]، ولهم فى هذا الإدعاء ما يؤيدهم من طقوسهم الدينية ، ففى وقت معين تجتمع كل القبائل من نفس الجنس بممثليهم فى غابة باركتها وقدستها تكهنات أسلافهم فضلا عما يحيطها من رهبة قديمة ؛ وفيها يقيمون طقوسهم البربرية البشعة ، مستهلينها بذبح ضحية بشرية . هناك نوع آخر من التقديس يتقدمون به إلى الغابة المقدسة ، وهو أنه لا ينبغى أن يدخلها أحد دون أن يكون مقيدا بسلسلة ، وهذا دليل على اعترافه بذلته وحقارته أمام قوة الإله المقيم فيها ، فاذا حدث وسقط على الأرض لا ينبغى عليه أن ينهض ثانيا على أقدامه أو يرفعه أحد ، بل عليه أن يدحرج نفسه على الأرض . وتتضمن كل هذه الخرافات المعقدة الاعتقاد بأن الشعب قد استمد أصوله من هذه البقعة ، وأن الإله الأكبر الذى يسيطر على الجميع يقيم فيها ويخضع له بقية العالم . ويدعم هذا الاعتقاد قوة السمنونيين فهم يسكنون فى مائة مقاطعة Canton ونظرا لضخامة أعدادهم يدعون أنهم سادة العنصر السويفى .

— ٤٠ —

اللومبارديون أو اللانجوبارديون — الرودجنيون —
الأفيونون — الأنجليون — الفارينون —
الأيودوسيون — السواردونيون —
النويتونيون — عبادة الالهة الأرض
(إرثا) — الاحتفال بها —
إغراق القائمين بغسلها فى
بحـــيرة سرية

وعلى العكس يتميز اللانجوبارديون Langobardi [٢٤٤] بقلة اعدادهم ؛ ومع إحاطة الشعوب القوية بهم ، فانهم آمنون بقوة السلاح ، وليس عن طريق الخضوع أو الاستكانة ؛ وتجاورهم قبائل الرودجنيين Reudigini والأفيونيين Aviones والإنجليز Anglii والفارنيين Varini والأيودوسيين Eudoses والسواردونيين Suardones أو Suarini والنـــويثونيين Nuithones [٢٤٥] ، وتحمى الأنهار والغابات هذه الشعوب ، غير أنه ليس هناك شيء يستحق الذكر فى التفصيل عنها سوى أنها جميعا تتميز بعبادة واحدة وهى عبادة إلهـة الأرض Nerthus أو Ertha ؛ وهم يعتقدون أنها تتدخل فى أعمال البشر وتزور الشعوب المختلفة فى عربتها . وهناك غابة مقدسة غير مطروقة داخل جزيرة فى المحيط [٢٤٦] ، وتوجد بها عربة مغطاة بالقماش لا يلمسها أحد سوى الـكاهن ، فهو الذى يستطيع أن يحس بدخول الالهة فى العربة المقدسة ؛ تشد العربة إلى البقر ويسير بها الـكاهن بجانبها ،

مظهراً أعمق مراسيم الاحترام . وفى ذلك الفصل [٣٤٧] ، يعم البشر والسرور جميع الناس ، فتقام الاحتفالات فى كل مكان يشرف بزيارة الالهة أو تقف الحروب فلا تحمل الأسلحة ، ويغمد كل سلاح فى قرابه ، وخلال تلك الفترة فقط ، ينشر السلام لواءه فى الداخل وفى الخارج ؛ ويظل الأمر كذلك حتى يعود الكاهن بالإلهة إلى معبدها [٣٤٨] ، بعد أن تكون قد شبعت من مخالطة البشرية . تغسل العربة وغطاؤها بعد ذلك ، وإن شئت تغسل المعبودة نفسها فى بحيرة سرية ، ويباشر عملية الغسل عبيد لا يلبثون أن يغرقوا فى هذه البحيرة السرية بعد انجاز مهمتهم مباشرة ؛ ومن هنا يبعث هذا الغموض رعبا وفزعا وأحجاما بحجة الدين ، فلا يسألون عن طبيعة ذلك الإله الذى لا يسمح برؤيته فقط إلا من هم على وشك الموت . (وهذا القسم من الشعب السويفى يمتد إلى أقصى مناطق جرامينا [٣٤٩]) .

— ٤١ —

القبائل الجرمانية حول الدانوب

الهرمندوريون والولاء للرومان — منبع نهر الإلب

وإذا تتبعنا مجرى الدانوب ، كما فعلنا سابقا بالنسبة لنهر الراين ، نجد قبائل الهرمندوريين Hermunduri [٣٥٠] بالقرب منا ، وهذه موالية للرومان [٣٥١] ، وهذا هو الشعب الجرمانى الوحيد الذى يسمح له بممارسة التجارة ليس فقط على شاطىء النهر ، ولكن داخل أراضينا وفى أعظم

مستعمراتنا ازدهارا ، وهى ولاية رايتيا Rhaetia ، ولهم أن يدخلوا هذه المستعمرة ويخرجون منها متى شاءوا ومن غير رقابة ، أما باقى الشعوب الجرمانية فلا نسمح لهم إلا بمشاهدة سلاحنا ومعسكراتنا فقط ، على عكس الهرمندوريين الذين تفتح لهم منازلنا ومؤسساتنا الإقليمية بعد أن تبين ألا مطمع لهم فيها . وينبع نهر الإلب Albis من أراضى الهرمندوريين [٢٥٢] ، وكان هذا النهر مشهورا من قبل ومعروفا لدينا غير أننا الآن نسمع به فقط .

— ٤٢ —

النارسكيون والماركومان والكوادى — النظام الملكى عند الماركومان والكوادى خضوعهم للرومان

وبجوار الهرمندوريين تسكن قبائل النارسكيين Narisci أو Naristi ثم الماركومان Marcomanni فالكوادى Qudi [٢٥٣] ، وتعتبر قبائل الماركومان أقوى هذه القبائل وأشهرها ، فقد استولوا على الأراضى التى يحتلونها الآن ، بفضل شجاعتهم ومهارتهم ، وطردوا عنها سكانها القدماء من البويه Boii ، غير أن النارسكيين والكوادى ليسوا بأقل من الماركومان شجاعة ، وتكون هذه الشعوب حدود ألمانيا التى يكملها الدانوب . ولقد أخذ الماركومان والكوادى بالنظام الملكى ولم يزالوا كذلك حتى الوقت الراهن ، يتولى الحكم منهم ملوك من جنسهم ولكن من الفرعين النبيلين ماروبودس وتدروس Maroboduus and Tadrus [٢٥٥] ، ولكنهم مع ذلك يخضعون

لنفوذ الأجانب ، إذ يعتمد ملوكهم على روما على مدهم بالسلاح أحياناً وبالمال أحياناً كثيرة ، وكلا المعونتين لها أثرها .

— ٤٣ —

المارسيجنيون - الكوتينيون - الأوسيون - البوريون .
الكوتينيون والأوسيون ليسوا من الجرمان
الكوتينيون ومناجم الحديد والجزية
الليجيون وغيرهم - عبادة النهارفالين
أو الآربين - النظام الملكي عند
القوط والروجيين
والليموفيين

وخلف الماركومان والكوادي تقيم شعوب المارسيجنين Marsigni والكوتينيين Cotini والأوسيين Osii والبوريين Burii [٢٥٦] ، ويشبه والمارسيجنيون والبوريون ، من بين هذه الشعوب ، السويف في اللغة والملابس والعادات . أما الكوتينيون والأوسيون فليسوا من الشعوب الجرمانية ، نظراً لأن لغتهم مزيج من اللغتين الغالية والبانونية ، وقد فرضت عليهم الجزية باعتبارهم أجانبا . ويدفعون جزءاً منها إلى السارمات وجزءاً إلى الكوادي وبالاضافة إلى منزلة الكوتينيين المنحطة يعملون في مناجم الحديد [٢٨٥] وكل هذه الشعوب لا تشغل إلا مساحة صغيرة ، فبلادهم قليلة الوديان كثيرة المرتفعات والجبـــال ، ولذا كانت مساكنهم

بصفة رئيسية فى الغابات وعلى قمم الجبال ومنحدراتها . وهناك سلسلة من الجبال الممتدة [٢٥٩] تفصل سويفيا أو سويبيا Suevia and Suebia عن القبائل الأخرى البعيدة . وأشهر القبائل الأخيرة : قبيلة الليجيين [٢٦٠] Ligii أو Lugii ، وهذه تنتشر أعدادها فى عدد كبير من الولايات . أما القبائل الأخرى فنكتفى بإيراد أسماء أشهرها وأقواها ، وهى الأريون أو الهاريون Arii or Harii والهلفيكون Helvecones والمانيمون Manimi والإليسيون أو الهليسيون Elysii and Helisii والنهار فاليون أو النهانارفاليون Naharvali أو Nahanarvali [٢٦١] ؛ ويوجد ببلاد الشعب الأخير غابة مقدسة منذ الزمن السحيق ، يلبس الكاهن المشرف على عبادتهم عادة زى النساء ، غير أن آلهة هذا الشعب قد تميزت بأسماء لاتينية مثل كاستور Castor وبولوكس Pollux ، والملاحظ أن هذه التسمية تدل على صفاتها وخصائصها ، أما اسمها فهو ألكس أو ألكى Alcis and Alci ؛ ليس لهذه الآلهة صور وليس فيها أثر لعبادة أجنبية ، ومن المحقق أنها عبدت باعتبارها رجالا وشبانا أو أخوة . أما قبائل الآريين ، فهى أقوى القبائل التى سبق ذكرها ، إلا أنها أكثرها وحشية ؛ يمارس أرفادها تلك الوحشية التى جبلوا عليها بوسائل صناعية ، فيصبغون دروعهم وأجسادهم باللون الأسود ، ويتخيرون أحلك الليالى للقيام بهجومهم ؛ ومن ثم كان هذا الشبح المرعب لمثل هذا الجحفل الجهنمى مثيراً للرعب والفزع ، فيستحيل على أى عدو أن يتصدى لمثل هذا المنظر الشيطانى ، والعيون فى جميع المعارك هى أول ما يقهر .

ويقيم القوط Gothones [٢٦٣] ، فيما وراء اللوجيين ، وهم يخضعون لنظام ملكى أكثر قوة ودقة عن قرينه عند الشعوب الجرمانية الأخرى ،

لكنه ليس من القوة والعنف بحيث يكبت حرياتهم (أما الروجيون Rugii والليموفيون Limovii [٢٦٤] المجاورون فتظل مساكنهم على البحر مباشرة ويتميزون بالدروع المستديرة والسيوف القصيرة كما يخضعون لنظـــام ملكي قوي [٢٦٥] .

— ٤٤ —

السويونيون وقوتهم البحرية — نظامهم الملكي — السلاح خاناه في حراسة عبد

تبـــدأ الآن مساكن السويونيون Suiones المطلة على المحيط : اشتهر هؤلاء بالقوة البحرية [٢٦٦] ، فضلا عن قوة الرجال والأسلحة ، وتختلف سفنهم من حيث تصميم البناء عن السفن الرومانية ، فهي تتميز بحيزومين من كلا طرفيها ، وذلك حتى تكون مهيأة دائماً للعـــودة نحو الشاطيء . لا يستعملون أشرعة أو يثبتون المجاديف على الجوانب ، وإنما يدعون المجاديف من غير تثبيت حتى يسهل نقلها من جانب إلى آخر عند الحاجة ، كما هو شائع الاستعمال في بعض الأنهار . لهم كلف شديد بالثروة [٢٦٧] ولعل هذا هو سبب خضوعهم المطلق لحكومة ملكية مطلقة [٢٦٨] . ثم إنه لا يسمح بحمل السلاح لكل واحد منهم ، كما هو مألوف عند الجرمان الآخرين ، ولكن جرت عادتهم أن تحفظ الأسلحة عند حارس من العبيد ، على أن تكون تحت تصرف القائد ، وهناك سببان لاتخاذ مثل هذا الإجراء ، أولهما أن المحيـــط درع حام ووقاية كافية من أي غزو طاريء من جانب الأعداء ، وثانيهما إن ترك الأسلحة في أيدي الرجال من غير ضرورة

تغرى دائماً بالاعتداء إن لم يؤد ذلك إلى الحرب ، كما أنه ليس من مصالح الملك أن تكون الأسلحة تحت تصرف نبيل أو رجل حر أو حتى من المحررين .

— ٤٥ —

البحر المحيط بالعالم — الأيستيون ومعبودداتهم وأسلحتهم ونشاطهم الزراعي — جمع العنبر — السيتونيون وحكم النساء — نهاية سويفيا

وهناك بحر آخر هادىء فى أغلب الأحيان[٢٦٩] ، ويقع فيما وراء مساكن السويون Suiones . ويقال إن هذا البحر يحيط بالعالم كله ، وذلك لأن الشعاع الأخير لضوء الشمس الغاربة أو نور الغسق ، يبقى ظاهراً حتى شروقها فى الصباح مع ضياء كاف للتغطية على ضوء الكواكب . وتضيف الشائعات أن صوت هذا الضياء قد يسمع عندما يفارق المحيط ، وأن صوراً إلهية قد ترى مع شعاع هالى . وإلى هنا تنتهى معلوماتنا الصحيحة عن العالم .

وتقيم قبائل الأيستيين Aestii على الشاطىء الأيمن للبحر السويبى ،[٢٧٠] وهؤلاء يشبهون السويف فى ملابسهم وعاداتهم وديانتهم ، غير أن لغتهم أقرب ما تكون إلى اللغة البريطانية[٢٧١] . تعبد هذه القبائل أم الآلهة وتحمل معها صور الخنازير البرية كرمز لمعبودها الخرافى ؛ وتؤدى هذه الآلهة لهم ما تؤديه الأسلحة ووسائل الدفاع الأخرى ، بل إنها تحقق الأمن

لعبادها حيث وجدوا ، حتى ولو كانوا بين الأعداء ؛ يستعملون العصى في أغلب الأحيان ، أما استعمالهم للأسلحة الحديدية فقليل نادر ، ولهم صبر وجلد على زراعة القمح وغيره من المحاصيل الأخرى ، أكثر مما ينتظر من الجرمان الذين عرفوا بالكسل بصفة عامة(٢٧٢) ، ثم إنهم يقومون برحلات كشفية في البحر ، بل هم الشعب الوحيد الذي يجمع العنبر ويطلقون عليه اسم Glaesum Glese أو Glesum . يجمعونه من الأماكن الضحلة ومن السواحل(٢٧٣) ، ولكنهم كغيرهم من البرابرة لم يفحصوا أو يعملوا على اكتشاف كنه العنبر أو كيف ينتج . وقد ظل العنبر مدة طويلة غير ملحوظ كأي شيء آخر يلفظه البحر على الشاطىء ، حتى لفت ترف الرومان الأنظار إليه(٢٧٤) . ولما كان البرابرة لا يستعملون العنبر ، فقد جمعوه وقدموه إلى الرومان ، بحالته الطبيعية دون أي تشكيل ، ولشد ما كانت دهشتهم من الأسعار التي يدفعها الرومان . والعنبر على أية حال عبارة عن صمغ أو عصير نباتي يخرج من أشجار معينة ، بدليل وجود بعض الحيوانات الزاحفة داخله وكذلك بعض الحشرات المجنحة التي تلع فيه . والسبب في وجود هذه الكائنات أنها دخلته وهو في حالة السيولة ثم حبست فيه عندما تجمد(٢٧٥) ، وعلى ذلك أميل إلى الاعتقاد بأن في جزائر الغرب وبلاده ، كما في مخابىء الشرق السرية البعيدة حيث تنتج الأشجار لبان الذكر والبلسم لابد وأن هناك غابات واحراج ذات تربة دسمة ، أثرت على أشجارها أشعة الشمس القريبة منها ، فأسالت عصيرها في البحر المجاور ، ثم جرفته العواصف العاتية وألقته على الشواطىء المقابلة . وإذا عالجت العنبر بالنار لفحص محتوياته وجدته يضيء كالشعل ويعطي لهبا سميكا ذا رائحة عطرة ، ثم يتجعد بعد ذلك على شكل مادة لزجة تشبه الصنوبر أو الزفت .

والشعب المتـاخم للسويبين هو شعب السيتونيين Sitones [٢٧٦] ، ويتشابه هذان الشعبان من جميع الوجوه ، فيما عدا أن الأخير تحكمه إمرأة ، مما يدل على تدهورهم وانحطاطهم ليس فقط إلى ما دون الحرية ولكن إلى ما هو أدنى من حالة الرق أو العبودية (وإلى هنا تنتهي سويفيا .) [٢٧٧]

— ٤٦ —

البيوكنيون والفنديون والفن — سوء حال الفن
الأخبار الأسطورية عن قبائل
الهيلوسيين والأوكسيونيين

وفيما يتعلق بقبائل البيوكنيين Peucini والفنديين أو الفنتيين Venedi or Veneti والفن Fenni ، فانى أشك فى اعتبارهم من الجرمان أو السارمات [٢٧٨] ، حقيقة يشبه البيوكنيون العناصر الجرمانية فى اللغة والتقاليد الاجتماعية وطريقة السكن والاستقرار [٢٧٩] إلا أنهم يسمون أحيانا بالبستارن Bastarnae ، ويعيشون حياة قذرة مسترخية . وقد أدت مصاهرة رؤسائهم مع السارمات إلى دمامة أشكالهم . أما الفنديون ، فاستعاروا الكثير من عادات السارمات وتقاليدهم [٢٨٠] ، حتى أنهم فى غزواتهم للنهب يجتاحون كل المنطقة التى تفصل بين البيكونيين والفن ، وهى منطقة جبلية تكسوها الغابات . ورغم هذا فهم يعدون ضمن الجرمان نظراً لأنهم يقيمون فى منازل ثابتة ويتسلحون بالدروع فضلا عن كلفهم بالقوة وكثرة التنقل السريع مشياً على الأقدام . وهم فى كل هذه النواحى يختلفون تماماً عن السارمات الذين يعيشون فى عربات وعلى جرائد الخيل [٢٨١] . والفن قوم

متوحشون صافاهم القفز فى حياتهم ، لا سلاح لهم ولا خيول ولا منازل ، طعامهم الحشائش ودثارهم الجلود وفراشهم الثرى ، ليس لهم من سلاح سوى السهام التى تصنع أطرافها من العظم المدبب[٢٨٢] ، لافتقارهم إلى الحديد ، ثم هم يعتمدون فى طعامهم على الصيد كذلك ، يأكله رجالهم ونساؤهم على السواء ، وقد جرت عادة نسائهم أن يصحبنهم فى كل مكان ويطالبن بنصيبهن مما تناله سهامهم .

وليست لديهم وسيلة لحماية أطفالهم الصغار من عاديات الحيوانات المفترسة أو العواصف العاتية ، سوى تغطيتهم بأعشاب مجدولة على شكل شبكة . هذه هى الأماكن التى يؤوب إليها شبانهم ، أو فى بناء المنازل ، أو إضاعة حياتهم وحياة أبنائهم بين الرجاء والخوف لا يشغلون أنفسهم بأمر أحد : إنسان أم إله ، لقد وصلوا إلى درجة التشبع . فلم تعد لهم آمال أو مطالب يتعبدون من أجلها .

أما معلوماتنا عن القبائل الأخرى ، فهى مختلطة بالأساطير كتلك التى تتعلق بشعوب الهيلوسيين Helusii والأوكسيونيين Oxionae[٢٨٣] الذين يقال إن لهم وجوها آدمية وأجساما حيوانية ، وسوف لا أتعرض لمثل هذه الأشياء البعيدة عن الحقيقة بل سأتركها من غير حديث[٢٨٤] .

الحواشي والشروح والتعليقات

الحواشي والشروح والتعليقات

١ — Salmon, E.. A Hist. of the Roman world, pp.334-5

٢ — هرنشو: علم التاريخ (ترجمة المرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادي ص٣٦)

٣ — C. A. H. Vol. 1o, P. 871; Salmon, Op. Cit. P. 335

٤ — الأباطرة الفلافيون هم فسبازيان Titus Fabius Vespasianus (٦٩ — ٧٩ م) وتيتوس Titus (٧٩ — ٨١ م) ودميتيان Domitian (٨١ — ٩٦ م). — راجع (Bury, J., A Hist. of the Roman Empire, P. 315; Cary., A Hist. of Rome. P. 784)

٥ — Bury, Op. Cit., P. 478

٦ — يعرف عام ٦٨/٦٩ بعام الأباطرة الأربعة، وهؤلاء هم: نيرون Nero وجالبا Galba وأوتو Otho وفيتليوس Vitellius

(راجع: Cary, Op. Cit, pp. 594 - 604)

٧ — (The Times, Literary Supplement, June 27, 1958 - No. 2939, «The Enigma of Tacitus»

٨ — Encycl. Britt. Art. «Tacitus»; Cary, op. Cit PP. 728 - 730

٩ — «The Enigma of Tacitus»

١٠ — فشر. تاريخ أوربا فى العصور القديمة (ترجمة الدكتور ابراهيم نصحي والدكتور محمد عواد) ص١٧٨ حاشية ٢١؛ Bury, Op. Cit.p. 479

١١ — Bury, P. 479 .

١٢ — ibid

١٣ — تدل وظيفة البروكيروتر Procurator فى العهد الجمهورى على من يتولى الشئون المالية الشخصية من الأثرياء ، فهو عبارة عن خازندار خاص وليس موظفا حكوميا . وأطلق هذا اللقب كذلك على الموظفين الماليين الخصوصيين للأباطرة ، وخلال القرن الأول الميلادى صارت هذه الوظيفة رسمية ، وتولاها أشخاص بهذا اللقب ، ومهمتهم الشئون المالية فى الولايات الرومانية ، كذلك أطلق اللقب على حكام الولايات الصغيرة ، وقد زادت سلطة هؤلاء زمن الامبراطور كلوديوس (٤١ — ٥٤ م) ، حتى صارت لهم سلطة قضائية (Salmon, Op. Cit., P. 56) .

١٤ — Grant, M., Tacitus on Imperial Rome, p. 7. & Encycl. Britt.; op. cit

١٥ — The Enigma of Tacitus.

١٦ — راجع : الدكتور عبد اللطيف أحمد على . روما ج ١ (تاريخ الجمهورية والامبراطورية الرومانية ، ص ٢٠٦

١٧ — The Enigma of Tacitus; Grant, Op. Cit. p. 7

١٨ — Mattingly, H., Tacitus on Britain and Germany P. 7; Grant, op. Cit., P. 7.; C.A.H. Vol. lo, P. 871

١٩ — Encycl. Britt.

٢٠ — للتفاصيل عن بلينى الصغير وتراثه راجع : Bury, op.cit. pp. 482 - 88

Matt., Op Cit .P. 8 — ٢١

Bury, P. 482 — ٢٢

Encycl. Britl — ٢٣

ibid — ٢٤

٢٥ — هرنشو : علم التاريخ (الترجمة) ص ٣٧ — ٣٨

٢٦ — انظر ما يلى

Matt., P. 164 ; Bury, P. 479 — ٢٧

Matt. P. 7 — ٢٨

٢٩ — للتفاصيل عن وظيفة التريبون واختصاصاتها وأنواعها . راجع . الدكتور عبد اللطيف أحمد على . روما ص ٨٠ ، ٨٤ — ٨٥ حاشية / ١ ؛ Bury, P. 39 & Cary. PP. 58, 62, 73 ; Salmon PP. 41,166,177

٣٠ — راجع الدكتور عبد اللطيف (نفسه) ص ٨٥ — ٨٦ ، ٩٠ — ٩١ حاشية ٢

٣١ — انظر المراجع السابقة

٣٢ — انظر المراجع السابقة .

٣٣ — الكتب السيبللية . نسبة إلى امرأة تعرف باسم Sibylla وهى كاهنة كانت تتنبأ بالغيب ، ورويت عنها الأساطير المختلفة ؛ وتجولت فى بلاد كثيرة ، حتى صار اسمها علما على النساء اللائى يدلين بالنبوءات Sibyllae ، وقد اشترى أحد ملوك روما مجموعة من كتب النبوءات وأودعها فى معبد الكابيتول وعهد بها إلى جماعة الكهنة المختصة بالعبادات

الأجنبية ؛ وكان لا يرجع إلى هذه الكتب المقدسة ، إلا باذن من السناتو في وقت الطوارىء والأزمات .

أما جماعة الكهنة المختصة بالإشراف على هذه الكتب ، ولا سيما كتب النبوءات السبيلية فقد زيد عدد أعضاء هذه الجماعة من ٢ إلى ١٠ ثم إلى ١٥ على عهدسلا Sulla ، ومن ثم عرفت باسم Quindecimviri sacris Faciundis وزادها قيصر إلى ١٦ . وخلال القرن الأخير من عصر الجمهورية تحولت هذه الجماعة إلى أداة سياسية في يد الساسة الرومان ؛ ومما يذكر عن أغسطس أنه أغرى هذه اللجنة . (عبد اللطيف . روما ص ٢٠٤ حاشية ص ٣٠٢ ص ٣٣٨ حاشيه ٢ ، ص ٣٣٩ حاشية ١ ، Bury , P. 63 ; Salmon,P.27 .

٣٤ — أجريبيا قائد أسطول أغسطس في وقعة اكتيوم البحرية عام ٣١ ق.م؛ وظل يشغل المناصب العسكرية حتى توفى عام ١٢ ق .م .وهو الذى أسس مستعمرة بيروت في الشرق وأطلق عليها Colonia Julia AugustaFelix Berytus وله خريطة للعالم ، حفرها أغسطس على المرمر ، وهو زوج أجريبينا Agrippina حفيدة أغسطس من ابنته جوليا Julia ، وهى المعروفة باسم أجريبينا الكبرى .

(فشر : ترجمة الدكتور نصحى والدكتور عواد : ص ١٧٢ - ١٧٣ حاشية ١٧٤ ، Reid ,pp. 177 , 215 , 341 ; Bury , P. 63. ; C.A.H. ' Vol . 1O, PP . 102 Sqq - ٥٨ وانظر حاشية رقم)

٣٥ — Encycl . Britt . ; Buny , PP. 61 - 63

---

٣٦ — أنظر ما يلى

٣٧ — الولايتان الجرمانيتان وهما جرمانيا العليا وجرمانيا السفلى ؛ عبارة عن شريط ضيق على الضفة اليسرى للراين ، وكان نهر الراين هو حد

الامبراطورية الرومانية ، ـ أنشئت هاتان الولايتان عام ١٧ م لأهداف عسكرية على أن تاريخ إدارتهما غامض ، حتى أنه من المبالغة أن بعدهما من الولايات الرومانية. Matt., p. 166 ; Reid , 193 & C. A. H.vol lo, PP. 358 — 363 ; Vol , 11,PP. 526 - 530 ; Rostovtzeff , vol.Ip221

٣٨ — للتفاصيل عن جرائم برسكوس راجع : Bury, PP. 338— 49

٣٩ — المرجع السابق .

٤٠ — Matt , , P ..162 ; C . A . H . ,Vol . 10 , P, 871

٤١ ، ٤٢ — Encycl. Britt. Grant, P. 7

٤٣ — Bury, P, 481 ; Salmon, P.335

٤٤ — Matt., P.P. 8—9

٤٥ — كان تاكيتوس يعاصر الشاعر الهجاء الساخر يوفنال (٤٢ — ١٢٥ م) Decimus Junius Juvenal ؛ وقد ضمن هــذا الشاعر أهاجيه القوية سخطه على مافشا فى المجتمع الرومانى لعهده من الرذائل والمنكرات ، وكان يشكو من هجرة الأجانب إلى روما حتى أنه كتب يقول : إن نهر العاصى قد طغى على نهر التيبر .

(هرنشو ـ ترجمة العبادى ـ ص ٣٧ حاشية ١ ؛ نشر ترجمة نصحى وعواد ـ ص ١٤٢ ، ١٧٨ Glover, PP. 33 — 37 ; Salmon, PP.66—7, 141; C. A. H. , Val. 11, PP. 722 — 727.)

٤٦ — هلفديوس برسكوس Helvidius Priscus كبير الفــلاسفة الرواقيين على عهد فسبازيان ، وعضو شيوخ وبريتور ؛ امتاز بالآراء الحرة.

والنقد اللاذع الصريح وميوله جمهورية ، نفاه نيرون لاشتراكه فى مؤامرة دبرت لعزله ، ثم أعدمه فسبازيان عام ٧٤م . (راجع الفقرة الثانية من كتاب أجريكولا لتاكيتوس ؛ Matt., P. 166 ; Salmon, PP. 186, 220 — 21, Cary, P. 623; Bury PP 291, 376, 378—390.)

٤٧ — The Enigma of Tacitus

٤٨ — Matt., P. 10

٤٩ — Bury, P. 481

٥٠ — Matt., P. 10

٥١ — نفسه ص ١١

٥٢ — سالت Sallust (٨٦ - ٣٤ ق .م) مؤرخ معاصر لقيصر ، كتب فى أحداث عصره العاصف المضطرب تاريخاً Historiae مطولا لم تبق منه إلا قطع يسيرة ، وكتب رسالتين إحداهما فى مؤامرة كاتلين Catiline (ت ٦٢ ق .م) وهى مؤامرة سياسية دبرها كاتلين النبيل الرومانى ولكنها فشلت ؛ والرسالة الأخرى فى الحرب اليوجرثية Jugurthine War نسبة إلى يوجرثا ملك نوميديا بأفريقية الشمالية الغربية (هرنشو - ترجمة العبادى - ص ٣٣ حاشية ٤ ص ٣٤ حاشية ١) Salmon, PP. 23, 317.

٥٣ — أنظر الفقرة ٤٦ من جرمانيا .

٥٤ — كان مارتيال Martial (ت ١٠٤ م) وزميله Statius يغنيان بمحامد الأمبراطورية الطاغية دومتيشان ، ورفعاه إلى مصاف الآلهة ، بينما هو فى نظر تاكيتوس طاغية مجرد من كل فضيلة (Bury, PP. 295,473

Salmon, PP. 266 — 7 ; C. A. H Vol. 11, PP. 722 — 727
Milman, PP. 203 —204; C. A. H., Vol. 10, PP. 738— 770

أنظر ما يلى :

٥٦ — كانت قرارات مجلس الشيوخ Acta Senatus تنشر ، ويحتمل أن نشرها بدأ منذ عام ٥٩ ق . م ، غير أن الأمبراطور أغسطس أمر بمنع نشرها فى عام ٢٩ ق . م ، وأصدر أمره فى نفس الوقت باصدار جريدة رسمية هى المعروفة باسم Acta Diurna وهذه تضم الأنباء الرسمية للدولة مثل الأحصائيات عن المواليد والوفيات ، وأخبار التموين والأموال المحصلة من الولايات الرومانية ، وأخبار المحاكمات وبعض مقتطفات من قرارات مجلس الشيوخ ، وبعض أعمال الأسرة الأمبراطورية وأخبار الرياضة والمباريات الخ .. (Bury, PP. 37, 44, 478 Cary, P 478).

٥٧ — أنايوس سنكا Annaeus Seneca من مواليد قرطبة ومن علماء البلاغة (٦١ ق . م . وعاش فى روما فى أوائل عهد أغسطس وتردد بين أسبانيا وروما ، حتى توفى أواخر عهـــد الأمبراطور تيبريوس ، وله مؤلفات باللاتينية ، وهو والد الفيلسوف الأشهر سنكا .

(فشر ـ الترجمة ـ ص ١٧٥ حاشية ١٩٠ ؛ Cary, PP, 583 . 587
C. A. H. Vol. 11, PP. 729 — 731).

٥٨ — المقصود بأجريبنا صاحبة المذكرات ، هى الصغرى أو الثانية ، أما الكبرى أو الأولى فهى ابنة جوليا حفيدة أغسطس ، وأجريبنا زوج جوليا . تزوجت الكبرى من جرمانيكوس قائد جيوش الأمبراطور تيبريوس وأنجبت منه أربع بنات إحداهن أجريبنا الثانية ، وللمامات

زوجها عام ١٩ م فى ظروف غامضة شكت فى أن تيبريوس دس له السم ، فتحينت الفرصة للانتقام منه ، وكانت معتزة بنفسها لسمو محتدها ، ولما فشل تيبريوس فى ترضيتها استصدر أمرا من السناتو بنفيها عام ٢٩ م .

أما الصغرى فهى ابنة الكبرى ، تزوجت من كنايوس دوميتيوس Ch. Domitius وانجبت منه ابنها نيرون ، وكانت قد نفيت مع أمها وابنها وأعادها كلوديوس . ثم تزوجت كلوديوس عام ٥٠ م. وكانت طموحة مثل أمها ، ولما كان لكلوديوس ولد من زوجة أخرى هو تيبروس كلوديوس الذى لقب باسم بريتانيكوس Britannicus على أثر انتصارات أبيه فى بريطانيا ، فقد ولاه عهده ، غير أن أجريبينا كانت تعمل على أن يكون ولى العهد هو ابنها نيرون ، فاغرت زوجها بأن يتبنى نيرون ويوليه عهده . وبعد مقتل كلوديوس ؛ وهى مسئولة عن مقتله فى سبتمبر ٥٤ م ؛ حاولت أن تتولى الوصاية على ابنها نيرون الذى كان فى السادسة عشرة من عمره ؛ فأدى ذلك إلى نزاع مع ابنها ، وانتهى النزاع بمقتلها عام ٥٩ م . وإلى أجريبينا هذه تنسب مستعمرة كولونيا على الجانب الأيسر للراين ، فقد عرفت هذه المستعمرة باسم : Colonia Agrippinensis ؛ ولها مذكرات هامة عن التاريخ السرى لبلاط كلوديوس ، غير أن هذه المذكرات فقدت كغيرها من السجلات والوثائق المعاصرة . (Bury , PP. 391 - 414 Salmon , PP. 37, 136, 171 — 173, Reid ,P. 195 ; Gary , PP. 525 , 527 , 529 , 554 , 585 ; C . A . H . Vol 10 , PP. 655 , 659 , 672 —3, 703 , 868 , Matt . , P. 101 .)

٥٩ — Salmon , P. 334 ; The Enigam of Tacitus C. A. H. Vol . 10 , PP. 737 - 40 (راجع الحوليات كتاب ٤ فقرة ٥٣

٦٠ — الحوار فقرة ٢
٦١ — « « ١٤،٣،٢
٦٢ — « « ١٧،١
٦٣ — « « ٣٦
٦٤ — « « ١٢،٨،٥
٦٥ — « « ٤٠،٢٣،٢٢
٦٦ — « « ٣٥،٣٠،٢٩
٦٧ — أنظر Salmon, P. 335
٦٨ — راجع الحاشية رقم ٥٢
٦٩ — Matt., P. 14
٧٠ — أجريكولا فقرة ١، ٢، ٣
٧١ — « « من ٤ إلى ٩

وتلخص وظائف أجريكولا حتى ولايته الحكم كنائب قنصل فى بريطانيا فى الآتى :

١ — تريبون حربى Tribunus militum فى بريطانيا عام ٦١ م
٢ — كويستور Quaestor فى آسيا عام ٦٤ م
٣ — تريبون للعامة أو نائب للعامة Tribunus Plebis فى روما عام ٦٦ م
٤ — بريتور Praetor فى روما عام ٦٨ م
٥ — ضابط للفرقة العشرين Legatus Legionis xx فى بريطانيا عام ٧١ م

٦ — ضابط ونائب بريتور Legatus Pro — Praetor في أكتوبر من ٧٤ — ٧٦ م

٧ — قنصل في روما Consul من أبريل إلى يونية ؟ عام ٧٧ م

٨ — ضابط ونائب قنصل Legatus Pro - Consul في بريطانيا من ٧٧ — ٨٣ م

(Matt., pp. 11 — 12 Thomson, pp. 234 — 235)

٧٢ — أجريكولا الفقرة ١٠ إلى ١٢

٧٣ — » » ١٣ إلى ١٧

٧٤ — » » ١٧ : ٣٨

٧٥ — » » ٣٩ — ٤٦

٧٦ — » » ٤٦

٧٧ — التاريخ » ٢ ، ٤ ، ٥

٧٨ — Bury ; P. 480 الحوليات : الكتاب الثاني فقرة ٦١ الكتاب

٧٩ — هرنشو — الترجمة — ص ٣٧

٨٠ — الحوليات . الكتاب الثالث فقرة ٦٥ ، الكتاب الرابع فقرة ٣٢

٨١ — الحوليات . الكتاب الثالث فقرة ٢٤

٨٢ — التواريخ الكتاب الأول فقرة ١

٨٣ — الأراضي العشرية Agri Decumani هي تلك الأراضي الواقعة في حوض نهر نكر (Necker)Necer أحد فروع الراين ، فيما هو معروف حاليا بهس وبادن وورتمبرج .

وكان الرومان قد طردوا القبائل الجرمانية المقيمة فيه وسمحوا لفقراء القبائل الغالية المغامرة والموالية لهم بالإقامة فى هذا الودى وامتلاك الأراضى به ، على أن يدفعوا للجرمان ضريبة تقدر بعشر المحصولات التى تنتج فى هذا الوادى ، ومن هنا عرفت المنطقة باسم الأراضى العشرية Agri Decumani أو Decumates أو Tirhe-Lands . وفى نظير ذلك أعفاهم الرومان من الأعباء الأخرى ، فلم يضايقوهم بأقامة حاميات عسكرية فى أراضيهم ، ولكن يلاحظ أن هذه الأراضى كانت تعتبر جزءاً من الأمبراطورية الرومانية وليست ولاية . ورأى الأباطرة الفلافيون أن يحددوا وضع هذه الأراضى ، لأهداف عسكرية ، فبنى فيها الأمبراطور فسبازيان المعسكرات والحصون وحصنها وزاد على ذلك بأقامة سور من اللبن على حدودها الشرقية وأمامه خندق وخلف هذا السور أقام حصونه بحيث كان يفصل بين الحصن والحصن مسافة ٩ أو ١٠ أميال ، وبنى كذلك أبراجاً للمراقبة .

(Salmon, P. 241 ; Bury, PP. 402—403;Matt., P. 165)

٤ — مراجع هذا التمهيد .

Cary, PP. 297, 379, 495, 614 — 16 ; Salmon, PP. 274, 277, 111 — 112, 192, 238 — 45 ; Bury, PP. 100 — 101, 166 — 75, Rostovtzett ; 1, PP. 41, 222 — 23 ; Reid, PP. 193 — 95 ; C. A. H. Vol 10, PP. 358 — 373, 660 ; Matt., PP, 29 — 33; Thomson; PP. 238 — 240) .

٨٥ — Bury, P. 418

٨٦ — Matt., P. 25

٨٧ — Matt., PP.23 — 4 ; Grant, P. 385

٨٨ — Matt., P. 24

٨٩ — Bury, P. 419

٩٠ — C. A. H., Vol. 10, P. 872

٩١ — Bury, P. 419

٩٢ — أنظر « جرمانيا » الفقرة ٢٤ من الترجمة فيما يلي .

٩٣ — « « « ٢٥ « «

٩٤ — « « « ١٣ ، ١٤ من الترجمة

٩٥ — « « « ٣٠ من الترجمة

٩٦ — « « « ٣٢ « «

٩٧ — Bury, P. 419

٩٨ — Matt., PP. 24 — 25

٩٩ — Thomson, P. 242, Grant, P. 8

١٠٠ — Matt., P. 25

١٠١ — أنظر ص ٢٤ وما يليها .

١٠٢ — راجع « جرمانيا » الفقرة ٣٧ من الترجمة فيما يلي .

١٠٣ — راجع جرمانيا ـ الترجمة ـ الفقرة ٣٧ وانظر ـ Thomson, P.242

١٠٤ — Coon, P. 515 ؛ راجع جرمانيا الفقرة ٤ من الترجمة فيما يلي.

١٠٥ — تعنى جرمانيا هنا كل الأراضى الواقعة فيما وراء الراين .

١٠٦ — تضم رايتيا جزءاً من سرايا وبافاريا وتقع فى أعالى الدانوب والراين وشرق سويسرا وقد جعلت ولاية إمبراطورية عام ١٥ ق . م (أنظر الخريطة) .

١٠٧ — پانونيا عبارة عن النمسا وغربى المجر ، جعلت ولاية إمبراطورية عام ١٠ م .

١٠٨ — المقصود بسلسة الجبال الوعرة - جبال الكربات فى المجر السفلى .

١٠٩ — الاشارة بأشباه الجزر المتسعة إلى شبه الجزيرة الدانية بصفة خاصة .

١١٠ — يقصد بهذه الجزائر اسكندنافيا وفنلندا ولم يعرف الرومان عنهما إلا قليلا ، وكانوا يحسبونهما جزائرا .

١١١ — يعرف جبل أبنوبا حاليا باسم الغابة السوداء Schwartz-wald أما اسم الدانوب Danubius فأطلق فقط على جزء من النهر المعروف بهذا الاسم وذلك الجزء هو الواقع بين منابعه ومدينة فيندبونا Vindobona وهى فينا الحالية .

١١٢ — لم يبق من فروع دلتا الدانوب الآن سوى خمسة فروع .

١١٣ — درج الكتاب القدماء على إطلاق لفظ Indiginae على جميع الشعوب التى لا يعرفون أصولها ؛ ومعنى هذا اللفظ : النابت من

الأرض . Inde - Geniti ، وقد استلزم المعنى ترجمة هذا اللفظ إلى اللغة العربية بأكثر من كلمة .

١١٤ — يقال إن أسلاف الجرمان هاجروا من آسيا عن طريق البر، وهنا نجد تاكيتوس يقع فى خطأ شائع ، عندما يبنى وجهة نظره على حقيقة محلية بحتة وهى الطريقة التى تمت بها الهجرات التى وقعت فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، ويجعلها قانونا عاما .

١١٥ — يعتبر دروسس Drusus أبو الامبراطور كلوديوس Claudius أول قائد رومانى أبحر فى المحيط الجرمانى (بحر الشمال) أما المصاعب والأهوال التى تعرض لها جرمانيكوس Germanicus فى هذا البحر ، فهى مفصلة فى حوليات تاكيتوس .

(Cary , PP. 313 - 314 ; Bury , PP. 127 S qq. C.A.H. Vol 10 , PP . 358 - 363)

١١٦ — أسماء هؤلاء الأبناء الثلاثة هى : Isto ، Hermin ; Ingaff أو Hermino و Ingo أو Istäff (أنظر القوط الغربيين للمترجم ص ٤ ؛ Lot , pp. 31 - 32)

١١٧ — يرى بعض علماء الألمان المحدثين : أن هذه المصطلحات لا تدل على أسماء شعوب بقدر دلالتها على أماكن استقرارها . فكلمة الانجوفيين ، ومرادفها بالألمانية Die Inwohmer تعنى السكان الساحليين للبحر ، أما الإستفيونيون وتعنى بالألمانية Die Westwohmer فهم سكان الجهات الغربية ، والهرمينيون هم سكان المنطقة الوسطى Die Herumwohmer

١١٨ — يبدأون المارسيين كانوا يحتلون أجزاء كثيرة فى الجانب الشمالى الغربى من ألمانيا ، وذلك خلال أوقات مختلفة ، ففى زمن تيبريوس (١٤م) أنزلت بهم قوات جرمانيكوس مذبحة عنيفه ، ودمرت بلادهم وحرقتها ولم تستثن من القتل الكبار أو الصغار أو النساء ؛ أو أى مكان مقدس أو دنس . فى ذلك الوقت كان المارسيون يشغلون المنطقة المجاورة للرور Rura (Ruhr) أحد فروع الراين ؛ ويحتمل أن تكون هذه المذبحة قد قضت عليهم كشعب قائم بذاته ، وربما لم يكن لهم وجود زمن الامبراطور تراجان (ت ١١٧ م) وأنهم محوا من بين القبائل الجرمانية ، ولذلك سوف لا يظهر اسمهم بعد ذلك ؛ أما الكمبريفيون ، فليس من السهل تحديد مكانهم. وعن السويف انظر ما يلى (فقرة ٣٨) ، ويقال إن الواندال اشتقوا اسمهم من الكلمة الألمانية wendeln بمعنى يتجول ، وقد بدأخطرهم يستفحل عام ١٦٠ م خلال حكم أوريليوس Aurelius (١٦١ - ١٨٠ م) وفيروس Verus (١٦١ - ١٦٩) على أنهم سادوا فى أسبانيا فى عام ٤١٠ م ومعهم الالان Alans والسويف ، أقام الواندال بالمنطقة التى عرفت باسمهم فى أسبانيا وهى الأندلس Vandalusia ثم عبروا إلى أفريقيا عام ٢٤٩ م بقيادة ملكهم جزريك Geseric ، كذلك عبروا إلى إيطاليا عام ٤٥٥ م ونهبوا روما ، وبعد وفاة جزريك فى ذلك العام انحطت قوى الواندال (Cary :pp. 95 - 6 , 127 , 319 , 321 , 323 ,; PP. 75 S qq) .

١١٩ — اختلفت الآراء فى اشتقاق كلمة (الجرمان) وتفسيرها ، فمن قائل أنها مشتقة أصلا من كلمة wehr - mann بمعنى رجل الحرب أو المحارب وهى صفة انتحلتها قبائل الكسرنانيين Cisrhenane لما اشتهرت به من سمعة حربية عالية ؛ ورغم أن هـــذه القبائل فرع من شعب الترانسرنانيين

Transrhenane الكبير ؛ فان هذا الشعب لم يأخذ بذلك النعت الذي انتحله فريق منه الا تدريجيا وببطء ، حين رأى تعميمه عليه لأنه قمين به وكفاء لصفاته العسكرية وشدة صولته في الحرب . وبعد ذلك صار هذا اللفظ (الجرمان) علما على جميع سكان تلك البلاد : ويقال كذلك إن كلمة جرمان لم يستعملها الجرمان أنفسهم قط ، في أي فترة من فترات تاريخهم وهي لفظة لا تينية Germani ومفردها Germanus ومعناها : الحقيقي أو الأصلي » . وذكر سترابو Strabo وغيره من الكتاب القدماء تفسيراً آخر لهذه الكلمة ، هو أنها استعملت بمعنى الأخوة brothers وذلك للتمييز بينهم وبين غيرهم من العناصر الأجنبية الكلتية . وهاك تفسيرا رابع أقل احتمالا مؤداه أن أصل الكلمة غالي وهو Gaesum واستعمل هذا اللفظ للدلالة على الحربة الثقيلة ، ويقرب من هذه الكلمة الغالية كلمة ger المستعملة في اللغتين الجرمانية والسكسونية القديمتين ، فاذا صح هذا الاشتقاق فان كلمة جرمان تعني حملة الحراب Jävelin men ، ووجد الفريق الذي كان يسلح بهذا السلاح كذلك بين الغاليين وأطلق عليه اصطلاح Gaesate (القوط الغربيون للمترجم ص ٢ C. A. H. Vol II P. 37, Tacitus Oxford Trans).

١٢٠ — تكلم تاكيتوس تحت اسم هرقل عن الاله ثور Thor الجرماني لاتفاق صفاته مع صفات هرقل الإغريقي والروماني (راجع Whatmough ; Glover . PP. 62 , 98

١٢١ — أوليس هذا هو أودسيوس Odysseus الذي ورد في أشعار هوميروس وبه عرفت الأوديسة (Matt. P. 173)

١٢٢ — يوجد فى هذا المكان الآن مدينة اسبورج Asburg فى حوض الـرور (أنظر الخريطة)

١٢٣ — تتميز الماشية فى العصر الحاضر ، فى بعض جهات ألمانيا بكبر الحجم ، ولذلك يرجح أن صغر حجمها فى الزمن القديم جاء نتيجة لافتقارها إلى حسن العناية بالتغذية وحمايتها من قسوة الشتاء ، أو تحسين نتاجها بالتلقيح .

١٢٤ — كشفت مناجم ذهب وفضة فى ألمانيا ، غير أن ما اكتشف من الذهب لا يعتد به ، أما الفضة فلا بأس بها .

١٢٥ — يرجع ذلك إلى فساد العملة الرومانية نتيجة لتدهور الرومان أنفسهم ، فقد صاروا يضربون النقود الزغل ، ومن ثم جاءت شرشرة الحافة لمعرفة مدى نقاء المعدن المصنوعة منه ، وكما وجدت الدنانير المصورة أو الصورية ، ذوات العربة التى يجرها جوادان ؛ وجدت كذلك دنانير عليها عربة تجرها أربعة خيول Qudrigate .

١١٦ — الملاحظ أن الرومان كان لديهم نفس الميل والاستحسان للعملة الفضية مثل الجرمان ، ومن المحتمل لنفس السبب ، فقد ذكر بلينى Pliny أن الرومان فرضوا على الشعوب الخاضعة لهم ، الجزية على أن تدفع بالفضة كما حدث فى نهاية الحرب البونانية الثانية ؛ إذ فرضوا جزية سنوية لمدة ٥٠ سنه دون أن يكون فيها الذهب .

١٢٧ — الواقع وجد معدن الحديد فى جوف التربة الألمانية ، غير أن الجرمان البرابرة لاصبر لهم على العمل المضنى لاستنباطه من الأرض ، فضلا

عن افتقارهم إلى المهارة ، ولذلك استعملوا الحراب الحجرية بدليل ماعثر من الكميات الكبيرة منها فى مقابرهم القديمة .

١٢٨ — دلت هذه الألوان أولا على الشجاعة ، ثم صارت بعد ذلك سمة النبلاء واعتبرت على ممر الزمن أصلا للشارات الحربية أو الرنوك التى اشتهرت فى عصر الفروسية والإقطاع خلال العصور الوسطى فى الشرق والغرب . وكان درع الرجل العادى يلون ببساطة أما دروع الرؤساء فقد صورت عليها أشكال الحيوانات بألوان مختلفة .

١٣٠ — وصف قيصر مثل هذا الأسلوب الجرمانى فى الحرب ، وذلك بصدد حروبه فى بلاد الغال فذكر أن هناك ٦٠٠ حصان وبجانبها عدد مساو من أسرع الرجالة وأشجعهم : والفرسان هم الذين يختارون هؤلاء الرجالة العدائين بعناية فائقة فهم فى غاية الأهمية لحماية الفارس ، فاذا سقط الفارس جريحاً من فوق جواده ، على هؤلاء العناية بأمر علاجه ، وإذا اضطر الجيش إلى التقهقر أو إلى التقدم فى مسافة بعيدة وبسرعة ، تعلق هؤلاء الرجالة بأعناق الخيول حتى لا ينفصلوا عن الجيش .

١٣١ — الأسفين عبارة عن فرقة من الرجالة ضيقة من الأمام ومتسعة من الخلف اتساعاً تدريجياً ، وبهذا الوضع يتمكنون من إصابة أصحاب الرتب فى جيش العدو ، وذلك بتوجيه جرابهم مباشرة إلى نقطة واحدة ، ويسمى العسكريين هذا النوع من التعبئة برأس الدب Boars head .

١٣٢ — لشناعة هذا الجرم وسوء مصير مرتكبه ، كان مجرد الاتهام بارتكابه من أكبر الأهانات ،ولذلك نص القانونالسالى — قانون الفرنجة

البحرين ـ على عقوبة من يتهم رجلا حراً بالقاء درعه إلى الأرض أوهروبه من المعركة دون أن يقيم الدليل على صحة الاتهام الباطل بنحو ٦٠٠ دينار (حوالى تسعة جنيهات انجليزية) .

١٣٣ — يدعى حجاب القصر فى دولة الفرنجة أن أصولهم ترجع إلى هؤلاء القادة العسكريين من الجرمان ، وإذا تميز الملوك بالشجاعة والمقدرة الحربية بجانب أصولهم النبيلة ، انتخبوا كقادة حربيين كذلك ، وفى هذه الحالة يتمتع الملك بسلطة واسعة فى وقت الحرب ، لاتتاح له فى زمن السلم .

١٣٤ — يقول أحد ملوك الجرمان أن طبيعة سلطته كانت بحيث لم يكن لشعبه سلطان عليه أقل مما له على شعبه .

١٣٥ — ليست هذه الصور والتماثيل لآلهتهم ، لأنهم يعتقدون أنه مما يشين قدر معبوداتهم أن تصور بأشكال بشرية ، ويبدو مما كتبه تاكيتوس فى تاريخه ، أن هذه الصور لحيوانات مفترسة ، يحتفظون بها فى غاباتهم المقدسة ، ويحملونها إذا خرجوا للحرب .

١٣٦ — لم يقتصر سهم النساء فى الحروب على اعتراض طريق أزواجهن وأبنائهن ، بل إنهن فى الساعات العصيبة كن يشتركن فعلا فى القتال ، حدث مثل هذا فى حرب ماركوس أورليوس عندما هزم الكمبرى ، وعندما طرد ماركوس أورليوس الماركومان والكوادى وحلفاءهم وجد من بين جثث القتلى جثث نساء فى سلاحهن الكامل (أنظر ما يلى فقرة ٧ ، ٨ فى جرمانيا)

١٣٧ — حدث فى جيش أريوفستس Ariovistus أن توسل النساء لجنودهن وبكين وأسدلن شعورهن حتى لا يسلموهن أسرى للرومان .

١٣٨ — ذكر المؤرخ سويتونيوس Suetonius فى كتابه عن حياة أغسطس أن الأمبراطور أغسطس حاول أن يأخذ نوعاً جديداً من الأسرى الجرمان وهو النساء ، فقد تبين أن الأسرى من الرجال لا أهمية لهم فى نظر الجرمان (Oxf. Transl) .

١٣٩ — أسرت هذه السيدة على يد روتليوس جاليكوس R. Gallicus وقد أشار إليها تاكيتوس بتفصيل أكثر فى تواريخه .

١٤٠ — فى هذه العبارة غمزة ذات معنى ، لما أبداه السناتو الرومانى فى عهد نيرون من ذلة وتعلق نحو الطفلة إبنة بوبايا Popaea .

١٤١ — أطلق تاكيتوس اسم عطارد على هذا الإله لوجود شبه بينه وبين عطارد الرومانى وهو يقـــابل أودن Odin (Wodan) الجرمانى . (Matt., P. 169)

١٤٢ — أقمت المواعيد التى تقدم فيها القرابين على أسس خرافية ، فى الشهر التاسع من كل سنة تقدم الضحايا البشرية والحيوانية ، وذلك لمدة تسعة أيام ، فى كل يوم تسع ضحايا ، ويختار الجرمان لضحاياهم تسعة أشخاص من بين أسراهم ومن بين العبيد ، ويتولى الكاهن مهمة تقديم القرابين .

١٤٣ — تتفق خصائص الإله تيو Tiu الجرمانى مع مثيلاتها عند مارس الرومانى إله الحرب (Matt. P. 168) .

١٤٤ — استخدمت طريقة الأغصان عناصر أخرى غير العناصر الجرمانية مثل السكيثيين والآلان . ومما يذكر عن سكان جزيرة روجن

Rugen بالبحر البلطى ، أنهم استخدموا بدلا من الأغصان الثلاثة ، ثلاث قطع من الخشب ، يطلى أحد وجهى القطعة باللون الأبيض والوجه الآخر باللون الأسود . ثم تلقى هذه القطع فى حجر أحدهم ، فاذا جاء الجانب الأبيض إلى أعلا تنبأوا بالحظ السعيد ، والعكس إذا كان الوجه الأسود إلى أعلا .

١٤٥ — يشبه هذه التقاليد ما عرف عن عرب الجاهلية من الكهانة ، وهى الأخبار عن كل أمر مغيب والتنبؤ عن كل شىء يراد معرفته ، ويدخل فى الكهانة العرافة والقيامة والزجر والطيره والعيافة والاستقسام بالازلام وضرب الحصى والخط على الرمل أو الأرض ؛ وكان للكهانة بأنواعها شأن خطير فى نفوس الجاهليين ، حتى كانوا كما وصفهم بعض الإسلاميين «بين متكهن وحداس وراق ومنجم» وكان لكل قبيلة كاهن منها أو عدة كهان تلتجىء إليهم القبيلة لاستشارتهم فى كل أمر عظيم يحدث لهم ، ويجوز أن يكون الكاهن إمرأة ، وكان لثقيف عند ظهور الإسلام رجل يسمى «خطر» وكان لقريش حين ظهر الإسلام كذلك إمرأة كاهنة يقال لها «سوداء بنت زهرة الكلابى» ويقال للتنبؤ بملاحظة حركات الطيور وسكناتها وكذلك الحيوانات ودراسة أصواتها ، العيافة ؛ وممن اشتهر بالعيافة من قبائل العرب ، بنو أسد ؛ والأزلام عبارة عن أسهم وتعرف باسم القداح كذلك ، وهى عيدان تتخذ من النبع وهو شجر تصنع منه القسى والسهام ، ينبت فى قمم الجبال ، وهو معروف بالمتانة واللين ، وهذه تنحت وتجعل متساوية فى الطول ؛ واختلفت أعدادها ؛ وعليها علامات بالأمر أو النهى ؛ ويقوم بالعملية سادن الصنم أو كاهنه ، وله أجر فى نظير قيامه

بهذا العمل، فثلاكان سادن هبل يأخذ مائة درهم، (راجع: جواد على ج ٥ ص ٣١٢ – ٣٣٠ ؛ هارون ص ٣١ – ٣٨ ، ٥٢ وما يليها).

١٤٦ — وجدت طريقة استشارة الخيل عند الفرس، الذين يظن أن الجرمان ينحدرون عنهم. والمعروف أن انتخاب دارا ملكا جاء على أساس صهيل جواد، ووجد من بين الخيول التى كانت فى جيش كورش خيول مقدسة بيضاء اللون؛ ثم إنه عندما تقهقر إجزرسيس بعد هزيمته أمام اليونان كانت تتقدمه الخيول المقدسة وهى تجر العربة المقدسة، كذلك تفاءل سكان جزيرة روجن بالجواد الأبيض.

١٤٧ — علق مونتسكيو فى كتابه «روح الشرائع» على هذه الفقرة، فأبدى عجبه لوجود مثل هذا التوازن بين الحرية والسلطة عند الجرمان، وذكر بأن أصل الدستور الإنجليزى إنما يرجع إلى هذا المنبع.

١٤٨ — يشبه الجرمان فى توقيتهم بالليالى، العرب الجاهلية كذلك، فقد كانوا قبل الإسلام يوقتون بالنجوم والأهلة، ويبنون التاريخ على الليالى دون الأيام، بخلاف العجم فانهم كانوا يبنونه على الأيام دون الليالى (العبادى. المامة بالتاريخ عند العرب ص ٥١ – ١٥٢).

١٤٩ — يدل هذا على اضطراب الطريقة التى يجلسون بها على مقاعدهم فى الجمعية العمومية دون نظر إلى نظام أو رتب أو سن، ومن ناحية أخرى هذا دليل على أن الجماهير وليس الرؤساء هم الذين يقررون متى تبدأ أعمال الجلسات.

١٥٠ — يحتمل أن المقصود بالجناة والمراوغين أولئك الذين يدعون إلى الحرب فيرفضون أو يتلكئون فى الاستجابة، وقد أشار قيصر إلى هؤلاء وذكر أنهم يعتبرون خونة وفارين من الخدمة العسكرية؛ وفيما بعد نجد أن القانون اللومباردى ينص على إعدام أمثال هؤلاء، ونظراً لخطورة هذه الجريمة حمى القانون السالى رعاياه من الاتهام الباطل بها.

١٥١ — كان مرتكبو الفحشاء فى اسكتلندا يدفنون فى مستنقع.

١٥٢ — ظلت الغرامة مقدرة بالماشية خلال الفترة التى كانت فيها الماشية هى الثروات الوحيدة، ثم صارت تقدر بعد ذلك بالنقود كما فى القانون السالى، ومع ذلك بقيت الغرامة فى القانون السكسونى مقومة بالماشية وإن قدرت بالنقود.

١٥٣ — حتى القضاة كانوا يتوجهون إلى مقار أعمـالهم وهم فى سلاحهم، وذلك على عكس الرومان الذين لا يتسلحون إلا عند اشتغالهم بالخدمة الحربية.

١٥٤ — التوجا Toga عبارة عن كساء صوفى سميك للشباب عند الرومان واليونان، وقد صار الزى الوطنى الرسمى للرومان زمن السلم، حتى أن الأمبراطور هادريان Hadrian (١١٧ - ١٣٨) أجبر أعضاء السناتو والفرسان على لبس التوجا فى الحفـلات العامة وهو نفسه دأب على لبسها عندما يكون فى إيطاليا (Bury, P. 514; Matt., P. 173).

١٥٥ — ترجع أصول هـذا النظـام وهو نظام الأتباع والزملاء Retainers أو Companions إلى الكلت ويعتبر امتيازاً لنبلاء الكلت؛

ومؤداه أن يحيط الواحد منهم نفسه بطائفة من الفرسان المأجورين ويطلق على هذه الطائفة عند الكلت أسم Ambacti (أنظر Mommsen, V, pp. 20 — 21) .

١٥٦ — استنتج مونتسكيو من هذا التقليد أصول التبعية والإقطاع ، فذكر أن الأمير يعد نبلاءه بالسلاح والمؤنة ويعطيهم المال ويهبهم الأراضي ثم تطورت الهبات الأرضية حتى صار ملكاً وراثياً ، وعرفت بالإقطاعات Fiefs ، ومن هنا جاء أصل بناء النظام الإقطاعي ، ويتفق هذا مع ما ورد بالمراجع المختلفة عن الإقطاع الأوربي . ولا سيما عند ملوك الفرنجة ، حين كانوا يمنحون كبار رعاياهم هبات Beneficia أرضية ، وهي ما يعبر عنها في المصطلح الشرقي باسم « الرزقة » ، وعلى هذا تكون الرزقة أو الهبة سابقة من حيث الزمن للإقطاع الحربي (أنظر : كوبلاند ، فيزجرادوف — ترجمة الدكتور زيادة ص ٧٩ ؛ Ganshoff, P. 9) .

١٥٧ — ذكر قيصر من غير تدقيق أن الجرمان يقضون كل أوقاتهم في الصيد والتدريب الحربي ، ولكن الصورة التي صورهم بها تاكيتوس أكثر دقة وانطباقاً على الشعوب البربرية ؛ وزيادة على ذلك فان العبد لا يشغل سوى أشهر قليلة من السنة . ومعظم السنة لا بد وأنه كان يقضى في البطالة والكسل .

١٥٨ — اعتبرت هذه الهدايا أصلاً للضرائب التي تجبيها الدولة ، ولو أنها كانت تقدم اختياراً دون إجبار ، ولقد تعلم الجرمان من الرومان جباية الضرائب . إذ كان الرومان قد فرضوا الجزية على الجرمان كما قرروا عليهم بعض الضرائب .

١٥٩ — كان هذا درساً خطيراً أدى آخر الأمر إلى القضاء على الامبراطورية الرومانية، إذ كثيراً ما اشترى الرومان السلم من الجرمان بالمال.

١٦٠ — لم يكن للجرمان ما يصح أن يطلق عليه اسم مدينة، على الرغم من أن قيصر يؤكد العكس.

١٦١ — وصف ايزيدور الاشبيلي هذه العباءة بأنها تغطى الأكتاف والصدر والبطن وهى خشنة سميكة لا ينفذ الماء منها.

(للتفاصيل من شخصية ايزيدور أنظر القوط الغربيين للمترجم ص ١٧٧ ومراجع الحاشية.

١٦٢ — روعيت طهارة الجرمان وعفتهم ونظرتهم المستقيمة إلى الزواج فى كل مجموعاتهم القانونية، ويوضح هذا مدى التناقض الشديد بينهم وبين الرومان الذين عرفوا بالانحلال والفساد عندما تدهورت الامبراطورية.

١٦٣ — حدد القانون السكسونى مقدار الدوطة، فنص على أن الزوج يجب أن يدفع لوالد العروس ٣٠٠ سوليدى Solidi (حوالى ١٧٠ جنيهاً استرلينياً) وفى حالة موافقة العذراء على الزواج ورفض والديها يزاد الصداق إلى ٦٠٠ سوليدى، أما إذا رفضت العذراء ورفض أبوها كذلك أى إذا خطفت قصراً، على الجانى أن يدفع ٣٠٠ للوالدين و ٣٤٠ للعذراء على أن يعيدها إلى أهلها.

١٦٤ — ينص القانون السكسونى على أنه تنبغى على الزوجة أن

تحتفظ بالدوطة التي أخذتها من زوجها حتى تسلمها إلى أبنائها .

١٦٥ — يقول سنكا Seneca إنه ليس أضر على الأخلاق من مثل هذه الحفلات والمسرات التي يسهل فيها تفشي الرذيلة .

١٦٦ — يعتز الجرمان بشعورهم أشد الاعتزاز، ولذا كان قص الشعر عقوبة قاسية مذلة كما تعتبر إهانة بالغة ؛ إذا طبقت هـــذه العقوبة على شخص برىء .

١٦٧ — جرت سكسونيا القديمة، وهي وستفاليا الحالية ، على إجبار الخاطئة التي تدنس بيت أبيها أو تخون الزوجية ، على أن تنتحر شنقاً ، ثم تحرق ، وعلى رماد جثتها يشنق المعتدي عليها أو الذي أغراها وفسق بها ، وأحياناً يجتمع عدد من النسوة ويتقدمن من الزانية ويطفن بها في القرى المجاورة ويضربنها بأسياخ الحديد والمدى حتى تسيل دماؤها ، وكلما مرت بقوم أذاقوها العذاب ألواناً ؛ فلا تترك إلا جثة هامدة .(Oxf.Trans.).

١٦٨ — كانت الزوجة عند الهيروليين تشنق نفسها على قبر زوجها على أثر وفاته .

١٦٩ — من وسائل قتل الأولاد الإجهاض ، ولكنتا الجريمتين عقوبة صارمة في القوانين الجرمانية .

١٧٠ — يبدو أن السن هي الثانية عشرة من العمر ، لأنه عندما يبلغها الشاب يصبح خاضعاً لتطبيق العقوبات القانونية ، وهكذا نجد في القانون السالي - عند الفرنجة البحريين - أنه إذا ارتكب الطفل خطيئة قبل الثانية

عشرة من عمره فان الغرامة لا تطلب منه؛ وفى قانون الفريجة البرين R. Law ليس الطفل مسئولا قبل الخامسة عشرة من عمره .

١٧١ — القصد من تأخير سن الزواج هو إتاحة فرصة للنمو الكامل حتى تنضج غرائز الشاب ويقوى بنـــاء جسمه . ولذا كان من العار لديهم أن يكون لدى الشاب معلومات أو خبرة عن الجنس الآخر قبل سن العشرين .

١٧٢ — لا تقتصر المساواة المطلوبة بين الجنسين على العمر أو النضج، ولكن لا بد من وجود التكافؤ الاجتماعى ، وكثير من القوانين الجرمانية تفرض عقوبات على من يتزوج من طبقة دون طبقته ، وطبق هـذا على النساء والرجال .

١٧٣ — هناك أمثلة كثيرة فى تاريخ الملوك الميروفنجيين بفرنسا ، تدل على مثل هذه العناية بالأخوات وأطفالهن ؛ وكثير من الحروب قد شن بسببهن .

١٧٤ — لهـذا التعويض أهمية بالغة بين الشعوب الميالة للحرب، حتى أن الفقر لا يعفى منه ، وجرت العـــادة أن تشترك أسرة الجانى فى إيفائه .

١٧٥ — تتفق جميع الشعوب البربرية فى نحلة الكرم . وكلما تقدم الشعب فى مدارج المدنية قل الاهتمام بمسائل الكرم والضيافة .

١٧٦ — هذه العبارة الأخيرة المحصورة بين الأقواس ، واردة فى نسخة إكسفورد ضمن الفقرة التاليـــة (٢٢) ولا صلة لها بهذه الفقرة ،

أما فى بقية النسخ فهى مذكورة ضمن الفقرة السابقة (٢١) تمشيا مع سياق المعنى بها ، وهو ما أثبته فى الترجمة .

١٧٧ — اعتبر تناول الطعام على موائد منفصلة ، دليلا على الشراهة ، ووجد مثل هذا عند الشعوب القديمة كما ، ذكر هوميروس وغيره من الكتاب .

١٧٨ — مثل هذه المعارك كثيرة الوقوع فى مثل هذه المناسبات ، وقد نص القانون السالى على أنه « إذا اجتمع ثلاثة أشخاص أو أربعة فى حفل أو وليمة وقتل أحدهم ، على الباقين أن يثبتوا الجريمة على واحد منهم ، أو يتضامنوا فى دفع دية القتيل » .

١٧٩ — يذكر هيرودوت أن الفرس كانوا يأخذون بهذا التقليد .

١٨٠ — لاحظ القديس أمبروز Ambrose المعاصر للامبراطور تيودسيوس (ت ٣٩٥ م) شيوع هذا التقليد بين الشعوب البربرية ، فذكر أن الهون Huns ، رغم عنفهم وعدوانهم ، خاضعون للمستغلين ، فقد يفقد الواحد منهم حريته إذا ثقل عليه الدين بسبب المقامرة ، وهم أكثر خضوعاً لقوانين الميسر فقط ، حتى أنهم لا يتخلون عنه وهم فى طريقهم إلى الحرب ، ويحملون معهم النرد كما يحملون أسلحتهم ، بل إنهم ليهلكون على أيدى مواطنيهم أكثر مما يهلكون على أيدى الأعداء . ورغم انتصارهم فى المعارك الحربية ، فقد يصبحون عبيداً أو أسرى لبنى جلدتهم نتيجة للميسر ، ولذلك لا يكفون عن الحرب أبداً حتى يمدوا أنفسهم بمزيد من الأسلاب والغنائم لتعويض ما يخسرونه فى الميسر .

١٨١ — وجد فى أوربا منذ قرون قليلة ماضية ، عدد كبير من العبيد الذين تشبه حالتهم حالة أولئك العبيد عند الجرمان .

١٨٢ — يستطيع الجرمانى أن يقتل عبده دون أن يدفع عنه تعويضا ، اما إذا قتل عبد غيره ، عليه أن يدفع ثمنه لسيده ، وفى حالة قتل رجل حر فى ساعات الغضب حدد القانون الجرمانى غرامة معينة على هذه الجريمة .

١٨٣ — من أعظم الخصائص التى ميزت بها عهود أسوأ الأباطرة الرومان ، مآل إليه أمر المحررين من قوة وصلف وسفاهة ، وذلك عن طريق جعل أنفسهم أداة طيعة منفذة لاستبداد ومظالم ولى الأمر الحاكم .

١٨٤ — ذكر تاكيتوس فى الحوليات أن الربا فى روما ، سبة ومفسدة بل هو آفة قديمة ، كانت منبعا دائما للثورات والفتن .

١٨٥ — أورد قيصر كثيرا من الأمثلة الدالة على نظام توزيع الأراضى عند الجرمان ، كما أوضح الحكمة منه ، فقال ليس لواحد منهم قطعة أرض ثابتة وإنما يقوم الرؤساء والقضاة بتوزيع الأراضى حصصا بين أعضاء القبيلة على أن يغير هذا التوزيع فى كل سنة والحكمة فى ذلك هى الحيلولة دون ركون أحدهم إلى الأرض والاستقرار فى مكان معين . فينصرف إلى الزراعة ويهمل الأعمال الحربية وفى نفس الوقت يطمعون فى مزيد من الأراضى أو يتسلط قويهم على ضعيفهم ، ويكثرون من بناء المنازل ويغالون فى زينتها ، وبذلك يخرجون بها عن حد كونها مأوى بسيطا ساذجا يقيهم من الطقس ، وكذلك حتى لا ينشأ بينهم حب المال واقتناء الثروات . وهذا منبع الخصام والانقسام .

ذكر قيصر كذلك أنهم ليسوا مجتهدين فى الزراعة ، وأن أغلب طعامهم

اللبن والجبن واللحم ، وهذا على خلاف ماذكره بليني الكبير الذي يؤكد بأن الجرمان لا يعرفون الجبن ، بل لا يخفي دهشته من اهتمامهم لاستخراج الزبد وعدم معرفتهم عمل الجبن لمدة طويلة ؛ وبليني في هذه الناحية أقرب إلى الصواب من قيصر إذ كان على علم تام بأحوال الرومان (راجع الفقرة ٢٣)

١٨٦ — نظرا لأن الجرمان لايزرعون أشجار الفاكهة ، فقد كانوا يجهلون المحاصيل المناسبة لفصل الخريف ؛ رغم أن لديهم جميع فواكه هذا الفصل ، وهذه تنمو طبيعيا ، ولذا ظلت لغتهم خالية من كل اصطلاح أو كلمة تقابل هذا الفصل ، ولكنهم يشيرون إليه بموسم الحصاد فقط .

١٨٧ — يختلف الجرمان عن الرومان في هذه الناحية اختلافا كبيرا ، فيذكر عن نيرون أنه احرق كمية كبيرة من العطور في حفل جنازة ابنته بوبايا

١٨٨ — عثر في قبر تشلدرك (Childeric) أبي كلوفس (Clovis) على حربته وسيفه وأسرجواده كما عثر على حدوة وأبازيم ذهبية ، وا كتشفت كذلك جمجمة يحتمل أنها لسائس خيله .

١٨٩ — هذه العبارات الأخيرة المحصورة بين قوسين في الفقرة ٢٧ مضافة إلى الفقرة ٢٨ في نسخة اكسفورد فقط ، وهي أكثر ملاءمة للفقرة الملحقة بها ؛ وقد وضعتها النسخ الأخرى كذلك ، وهذا ما أثبته في الترجمة باعتبارها خاتمة مناسبة لما سبق ذكره ، وتمهيدا موجزا لما سيلي .

١٩٠ — ذكر قيصر أن الغاليين حاربوا الجرمان وظهروا عليهم ، ونظراً لكثرة اعدادهم وفقر أرضهم ، استعمروا الأراضي الجرمانية فيما وراء الراين ، واستمرت منهم قبيلتا الفولكيين (Volcae) والتوكتوساجيين Toctasages أخصب اراضي الجرمان . وتمتاز هاتان القبيلتان بحسن الأدارة فضلا عن قوتهما الحربية .

١٩١ — الهلفتيون سكان سويسرا، لكنهم كانوا ينتشرون فى مساحة أوسع من سويسرا الحالية، ووصلوا حتى مدينة ليون Lyons الحالية. (فشر - الترجمة - ص ١١٢، ١٧٠).

١٩٢ — البويء فرع من الغاليين ويقيمون بجوار الهلفتيين، كما أوضح ذلك سترابو وقيصر، وعلى أثر هزيمتهم أمام قيصر، لجأوا إلى قبائل الأيدويين Aedui فتحتهم المنطقة المعروفة حاليـــا باسم بوربونوا Bourbonnois وتعرف مستعمرتهم الرومانية باسم بوهيم Boiemum وهى المعروفة الآن باسم بوهيميا. على أنه ليس من المعروف بالضبط متى دخل الهلفتيون، والبويء جرمانيا (انظر عبد اللطيف ص ٣١٢ — ٣١٦).

١٩٣ — حدث على عهد الامبراطور أغسطس أن تمكن الماركومان من طرد قبائل البويء من بوهيميا عام ٨ ق. م فلجأت إلى نوريكوم Noricum التى سميت باسمها فصارت تعرف باسم بواريا Boioaria وهى بافاريا الحالية أما غابة هيركنيا فتمتد من الراين إلى الكربات.

١٩٤ — سكن الأرافسكيون جزء من المجر السفلى.

١٩٥ — لاحظ تاكيتوس فى آخر هذه الرسالة نفس الملاحظة، وقرر أن الأوسيين ليسوا شعبا جرمانيا، نظراً لأنهم يستعملون اللغة البانونية، ويخضعون لدفع الجزية وكانوا يقيمون وراء الماركومان والكوادى، ويشغلون ما هو حاليا شمالى المجر حيث يوجد موضع يعرف باسم أوسن Ossen فى دوقية أويلز Oels.

١٩٦ — التريفوريون سكان دوقية تريف الحديثة Treves، أماساكن

البرفين ، فهي في منطقتي كمبرسيس وهينولت Cambresis & Hainau lt .

١٩٧ — شغل النميتون الدوقيات المعروفة حديثا باسم ورمز Worms وستراسبوج Strasburg وسبير Spires .

١٩٨ — أقام الأوبيون في دوقية كولونى Cologne ثم هاجروا إلى غالة بسبب عداوتهم مع قبائل الكاتين ، وقد حماهم الرومان .

١٩٩ — أجريبنا الثانية زوجة الامبراطور كلوديوس وأم نيرون ، وقدولدت بينهم وعرفت المستعمرة فى تلك البقعة باسمها(أنظر الحاشية رقم٥٨)

٢٠٠ — تعرف هذه الجزيرة حاليا باسم بيتوف Betuwe وهي جزء من ولايتى هولندا وجلدرلاند Guelderland.

٢٠١ — نظراً لتحالف البتافيين مع الرومان نعتوا في الوثائق الرومانية القديمة بأصدقاء الرومان .

٢٠٢ — شملت مساكن الماتياكيين أجزاء من المناطق المعروفة فى الوقت الحاضر باسم فتروف Weteraw وهس Hesse وايزنبرج Isenburg وفولده Fulde .

٢٠٣ — أنظر حاشية رقم ٨٣ .

٢٠٤ — المقصود بهذه الولاية ألمانيا العليا Upper Germ . راجع حاشية رقم ٣٧ .

٢٠٥ — يحتل الكاتيون مساحات شاسعة بين أنهار الراين والمين والسالا — أحد فروع الألب ، ويظن الفيلسوف ليبتز أن الكاتين سموا كذلك لأنهم يشبهون فى نشاطهم ذلك الحيوان المعروف بهذا الاسم(القط) والكلمة الألمانية المقابلة له هي Catte أو Hessen .

٢٠٦ — ذكر تاكيتوس فى تواريخه أنه قد يترك المدنى الرومانى شعر لحيته يطول نتيجة لنذر خاص، وذكر غيره أن ستة آلاف سكسونى نذروا بألا يحلقوا شعورهم أو لحاهم حتى ينتقموا من أعدائهم السويف.

٢٠٧ — وجد مثل هذا التقليد عند عرب الجاهلية بصدد الأخذ بالثأر ولعل هذا من أبرز خصائص حياة الجاهلية، كالامتناع عن شرب الخمر أو إطالة الشعر أو عدم الاقتراب من النساء وهكذا، وهم يعتقدون أن روح القتيل الذى لم يؤخذ بثأره تأتى فى صورة طائر يظل يصيح «اسقونى» حتى يؤخذ بثأره، والمثل المشهور حين بلغ امرىء القيس نبأ مقتل أبيه وهو يشرب الخمر فقال (اليوم خمر وغدا أمر، لا صحو اليوم ولا سكر غدا.) وهكذا (أنظر Donaldson, P. ٦٠)

٢٠٨ — يتضمن وضع الطوق الحديد أو الحلقة حول العنق أو الأذن معنى الرق أو العبودية، وحدث مثل ذلك فى الشرق الاسلامى على أثر انتصار ألب إرسلان على الامبراطورية البيزنطة فى وقعة ما زكرت Manzikert وأسر امبراطور الروم رومانوس ابوجين فوضع حلقات فى أذنه علامة الرق (راجع C. Med. H. Vol. 306-307).

٢٠٩ — المعروف أن شعب الكاتيين دخل بعد ذلك بنحو ١٥٠ سنة ضمن الجامعة الفرنجية Francic League ومعه بقايا قبائل الشيروسكيين والأتواريين Attuarii والسيكامبريين Sicambri والشامافيين والبروكتريين والشوكيين. وبعد أن انتصر هذا الحلف على الرومان استولى على غالة، ومن هذه الشعوب اشتق الفرنسيون اسمهم وعاداتهم وقوانينهم.

٢١٠ — ترتبط هاتان القبيلتان بالتحالف الحربى بسبب ما لحقهما من كوارث، فقد طردتا من مواطنهما على الراين أكثر من مرة .

٢١١ — امتدت مساكن البروكتريين بين نهرى الراين وليب Luppia أحد فروعه، من ناحية، وبين إمز Amisia وولاية فريزلاند، من ناحية أخرى، وهذه الأماكن هى المعروفة حاليا باسم استفاليا وإيسل العليا Over Issel ، ويظن بعض المؤرخين أن اسمهم مشتق من كلمة Broeken أو Brunchen أو Marches بسبب كثرة أعدادهم فى تلك المنطقة .

٢١٢ — سكن الانجريفاريون على شواطىء الفيزر Visurgis

٢١٣ — الواقع أنه لم يقض عليهم نهائياً ، فقد ذكر بعض المؤرخين أن بقاياهم استقرت بين كولونى وهس بعد طردهم .

٢١٤ — منبع غطرستهم وعجبهم بأنفسهم هو قيام النظام الملكى بينهم وكثرة ماشنوه من حروب على الرومان .

٢١٥ — وقعت هذه المذبحة قرب قناة دروسس، حيث تستطيع الحامية الرومانية على الراين أن تشاهدها، وقد وصلت أنباء هذه المعركة إلى روما فى أوائل عهد تراجان .

٢١٦ — تنقل الشاسوريون فى أكثر من موطن، إلى أن استقروا أخيرا قرب الفيزر وانضموا إلى العصبة الفرنجية، ويسميهم سترابو الشاتواريين Chattuarii

٢١٧ — المقصود بهذه الشعوب الغير مشهورة قبائل الامسباريين Amsibarii والتوبانتين Tubantes ويقال إن هذه القبائل اشتقت اسماءها من المعالم الجغرافية المجاورة لها ، فأخذت القبائل الأولى اسمها من نهر إمز ، أما القبائل الأخيرة فسميت كذلك نظرا لحالتهم الغير مستقرة ، فهم دائما يتجولون ويغيرون مساكنهم . ذلك أن كلمة Tho Benten تعنى الفرق المتجولة ، وهذه اقامت فى ايسل العليا حيث توجد الآن مدينة درنته Derente ، ومن بين هذه الشعوب كذلك الامبرونيون Ambrones المتاخمون لنهر امبروس Ambrus ، وهو المعروف حاليا باسم إمرن Emmeren

٢١٨ — سكن الفريزيون بقسميهم حول سواحل خليج زيدرزي Zuyder-Zee

٢١٩ — كانت هذه المنطقة على عهد الرومان مغطاة ببحيرات واسعة بسبب كثرة طغيان البحر عليها .

٢٢٠ — تتراءى اعمدة هرقل للشعوب المتاخمة للبحر فى تلك الجهات وهذه لابد وأن تكون عند أطراف فريزلاند ، والمعروف أن الفريزيين مجدوا هذه الأعمده .

٢٢١ — دروسس قاهر الجرمان ، أخو تيبريوس وأبو جرمانيكوس، فرض جزية على الفريزيين ،كما ورد فى حوليات تاكيتوس ، وقام بأعمال أخرى عظيمة فى جرمانيا ، استحق من أجلها أن يلقب بالجرمانى أو قاهر الجرمان .

٢٢٢ — انتشر الشوكيون على طول ساحل البحر من إمز، حتى نهر الألب، Albis، ولذا فهم يتاخمون جميع الشعوب السابقة، وينقسم الشوكيون إلى قسمين كبير وصغير، كما هو الشأن عند الفريزيين. أقام الفرع الكبير بين الفيزر والألب، أما الصغير فسكن بين الفيزر وإمز، أى أن نهر الفيزر هو الحد الفاصل بين الفرعين ويقال إن الشوكيين اشتقوا اسمهم من كلمة Kauken بمعنى المشهور بالشجاعة والإخلاص: ويذكر البعض أن كلمة Kauk معناها اليوم Owl، وهذا الطائر معروف بعدائه للقطط Catti: ومن العلماء من يشتق أسمهم من Kaiten، وهو العقعق أو غراب الزرع، نظراً لكثرة هذا الطائر قرب سواحلهم؛ ولكثرة طغيان البحر على أرضهم سكنوا المرتفعات سواء أكانت هضاباً طبيعية أو آكاما صناعية؛ واعتمدوا على السمك فى غذائهم، وليس لديهم ماشية كجيرانهم، ويشربون ماء المطر الذى يجمعونه فى حفر قرب أبواب أكواخهم.

٢٢٣ — سكن الشيروسكيون فى ذلك الوقت بين الفيزر والألب، حيث توجد الآن ليبرج وبرنسويك Brunswick وجزء من براندبرج؛ إلا أنهم شغلوا مساحات أوسع على عهد أغسطس، ويقول سترابوا إن كارثة فاروس كانت على أيدى الشيروسكيين بقيـــادة زعيمهم أرمنيوس Arminius (ت ٢١ م) — (أنظر فقرة ٣٧ من جرمانيا، راجع التمهيد فيما سبق عن العلاقات الرومانية الجرمانية، C. A. H Vol. 10, PP. 638, 373 ; Matt., PP. 155, 162).

٢٢٤ — يذكر بعض الكتاب أن الفوسيين هم نفس السكسون القدماء.

٢٢٥ — لم يزل اسم هذا الشعب موجوداً ، والمنطقة التى أقام فيها هى شبه الجزيرة الكمبرية وتشمل جوتلاند وشلزويج وهولشتين .

٢٢٦ — نقصت أعدادهم فى ذلك الوقت ، بسبب الهجرة والفيضانات والحروب غير أنهم انتعشوا بعد ذلك .

٢٢٧ — انتشر الكمبريون قديماً فى جرمانيا وغالة واسبانيا وبريطانيا وإيطاليا ووصلوا حتى بحر آزوف Palaus Maeotis واخترقوا البوسفور .

٢٢٨ — اصدر تاكيتوس فى ذلك الوقت هذه الرسالة عن جرمانيا .

٢٢٩ — الأسرة الارسكيدية أو الدولة الارسكيدية The Arsacid Dynasty ، حكمت الأراضى الايرانية من الفرات غرباً إلى حدود الهند شرقاً وذلك بعد سقوط أسرة السلوقيين Greek Seleucids ، ويرجع أصل الأسرة الاسكيديه إلى جد خرافى هو أرزاس Arsace مؤسس مملكة بارثيا Parthia عام ٢٤٨ ق . م ، وهى البلاد الواقعه بين ميديا وباكتريا جنوب شرق بحر قزوين ، ولذلك تعرف امبراطوريه الارسكيديين باسم بارثيا كذلك ، وهى تتكون من عدة ممالك خاضعة لها ، وملوك هذه الامبراطورية إيرانيون ويتكلمون لغة إيرانية ويدينون بعقيدة زرادشت Zorrastor ولقد اشتبكت روما مع بارثيا فى حروب طاحنة منذ أواخر عهد الجمهورية الرومانية ، كذلك حاربها انطونيوس عندما كان يحاول تكوين امبراطورية شرقية ، وعزم أغسطس على محاربتها بعد انتصاره على انطونيوس وانتهائه من فتح مصر .

(Bury , PP. 117 - 118 ; Matt , PP 157—8 , 162)

٢٣٠ — باكورس هو ملك بارثيا على عهد تراجان (Cary ,P. 645 ; Bury P. 448) .

٢٣١ — القائد الرومانى P. Ventidius Bars حالفه النصر فى طرد البارثيين، الذين كانوا قد استولوا على سوريا، وقتل باكورس فى هذه الحرب وعادت سلطة روما إلى هذه البقاع .

٢٣٢ — أباد الكمبرى القنصل كنايوس بابيريوس كاربو Cn.Papirius Carbo وجيشه فى منطقة الليريا عام ١١٣ ق . م ، واشتركوا مع التيوتون الآخرين فى نهب غالة ، غير أنهم ردوا على أعقابهم أمام شجاعة الغاليين ؛ فتحولوا إلى إيطاليا حيث طلبوا من السناتو أن يمنحهم أرضا ليقيموا عليها ، فرفض وحاربهم القنصل سيلانوس M. J. Silanus ولكنه فشل ، أما القنصل كاسيوس L. Cassius فقد تحطم جيشه أمام الغاليين التيجوريين ، وهزم كذلك اسكوروس M. Aur. Scaurus ـ وهو مساعد قنصل ـ أمام الكمبرى والتيوتون عند أراوسيو Orausio (Orange) عام ١٠٥ ق.م ووقع أسيرا، ولما أشار بنصيحة للكمبرى لم يتردد فى نصحهم بعدم عبور جبال الألب إلى إيطاليا ، مؤكدا لهم أن الرومان لن يقهروا فذبحوه . كذلك هزم كابيو Caepio نائب القنصل ومانليوس القنصل أمام الكمبرى والتيتون والتيجوريين ، وكانت رعونة نائب القنصل هى التى أدت إلى هذه الكارثة ، ولذا حكم عليه بالإعدام والمصادرة (راجع التمهيد — أنظر عبد اللطيف ص ١٧٦ حاشية ١ ، Cary , P.305) .

٢٣٣ — المقصود بالجيوش القنصلية الجيوش الرومانية فى العهد الجمهورى.

٢٣٤ — تركت كارثة فاروس P. Q. Varus عام ٩ م أثراً عميقاً فى نفس أوغسطس ، إذ حدث أن ترك رأسه ولحيته يطول ولم يحلقه لمدة عدة أشهر ، بل إنه صار يهذى ويردد اسم فاروس خلال هذه الفترة ، ثم زار جرمانيكوس ميدان المعركة بعد ست سنوات من وقوعها وأقام حفلات تأبين كبيرة ، دفن فيه أشلاء مواطنيه ، وقد وصف تاكيتوس هذا المشهد Salmon PP. 111 - 12) حوليات فقرة ٣ ، C.A.H..Vol . 10 , PP.361-65 Bury , PP . 134 - 137 ; Matt . , P. 162

فشر ـ الترجمة ـ ص ١٢٤ ، حاشية ١٨٠ ص ١٧٣)

٢٣٥ — اعتقد الرومان بعد تلك الكوارث ، أنه لن يوجد قائد رومانى يستطيع دفع هؤلاء الأعداء سوى ماريوس . وقد اثبت ماريوس جدارته وأهليته لهذه الآمال التى عقدها الرومان عليه ، فقام بجيش جرار وحاصر التيوتون وداهمهم وراء جبال الألب قرب أكواى سكستاى (أكس Aix فى بروفانس الحالية) وذبح منهم نحو ٢٠٠ ألف وأسر نحو ٩٠ ألف ، وفى السنة التالية حطم الكمبرى الذين كانوا قد توغلوا فى إيطاليا وعبروا نهر أثيس Athesis (نهر الاديج Adige) وقتل وأسر أكثر من مائة ألف . وخلال الحرب أبدى نساء الكمبرى الجرمان قوة وعناداً واشتركن فى الحرب فعلا ، ولما انتهت بهزيمة الكمبرى التمسن الحرية من ماريوس على أن يتفرغن للأعمال الدينية ولما رفض انتحرن ، وعاد ماريوس إلى روما ظافراً واحتفل بهذا النصر الباهر الذى أحرزه على التيوتون والأمبرون Ambroni والكمبرى (فشر ـ ترجمة نصحى وعواد ص ١٠٥ حاشية ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٨٠ عبد اللطيف ص ٧٥ ، ١٧٦)

٢٣٦ — انتصر قيصر على أيوفستس Aiovistus الملك الجرماني وطارده وقومه حتى قرب الراين (راجع التمهيد)

٢٣٧ — اقتحم نيرون دروسس وهو أخو الامبراطور تيبريوس جرمانيا عام ١٢ ؛ ١١ ، ٩ ق . م

وجاءت خسارته الفادحة بسبب غرق سفينته على ساحل الشوكيين (Bury , PP. 46 , 52 , 84 , 85 , 93 , 126 - 129 ; Matt . .P. 169)

٢٣٨ — نيرون هذا هو الذى صارا امبراطورا باسم تيبريوس واسمه الكامل (Tiberius Claudius Drusus Nero)

٢٣٩ — جرمانيكوس بن نيرون دروسس أحرز انتصارات باهرة على الجرمان فى جرمانيا عام ١٤ — ١٦ م وكان أغسطس قدعينه قائدا على ثمان فرق على الراين وحدث أن أصيبت سفينته بعطب، مثل أبيه وفى نفس المكان تقريبا ، ومات سنة ١٩ م (الحوليات فقرة ٣ ، Cary, pp 438,500,502, (513, 522)

٢٤٠ — كان ذلك الانتصار على يد دوميشيان Domitian .

٢٤١ — امتدت مناطق السويف إلى مساحات كبيرة فكانت تشمل البلاد الواقعة بين أنهار الألب والفستولا والدانوب ، وكانوا قبل ذلك يشغلون مساحات أوسع (راجع Wheeler, p. 7)

٢٤٢ — درج العبيد عند السويف على حلق شعورهم أو تقصيرها .

٢٤٣ — يقيم السمنيون على جانبى الأودر (Thomson. p.244)

٢٤٤ — سكن اللانجاردين على عهد أغسطس الجانب الغربى لنهر الألب بين لونبرج Luneburg ومجدبرج فى شمال شرق هانوفر ، وبعد أن هزمهم تيبريوس وطردهم إلى ما وراء الألب بحيث احتلوا المنطقة التى توجد بها الآن مدينتا برجنتز Prignitz وروبن Ruppin ، ثم نجحوا بعد ذلك فى تأسيس مملكة لهم فى إيطاليا وهى مملكة اللومبارديين التى حطمها شارلمان عام ٧٧٤ م وأسر ملكهم ديزيديريوس Desiderius وأخضع كل إيطاليا ولم تزل قوانين اللومبارد موجودة (Matt. p. 167)

٢٤٥ — سكن الرودجنيون أولا على الجانب الغربى لنهر الألب ، ثم استقروا فى جزء من الدوقية المعروفة الآن باسم مكلنبرج ولونبرج هولشتين ويحتمل أن الافيونيين هم نفس الشعب المعروف باسم الشيبونيين Chibones ونظرا لمجاورتهم للرودجنيين ، فلا بد أن مساكنهم كانت فى نفس المنطقة ، وقد عرفوا الافيونيين لسكناهم على شواطىء نهر المنافيا Ilmenavia (Ava) وسكن الانجليون فيما معروف حاليا باسم هولشتين وشلزويج ؛ ولم تزل آثارهم باقية الآن فى المنطقة التى أخذت اسمهم وهى انجلن Angeln وتقع بين شلزويج وفلنزبرج Flensbourg

ثم هاجر الانجليز والسكسون إلى بريطانيا فى القرن الخامس الميلادى ؛

ومما ذكره تاكيتوس ، ومن مواقع القبائل الأخــرى ، يتضح أن الأيدوسيين أقاموا فيما هو فزماروستك Wismar & Rostock . أما السواردين فأقاموا فى شترالشند Stralsund أو بومرانيا السويدية وجزء من بومرانيا . وذكر المؤرخ إكارد Eccard أن هـذه الشعوب كانت واسعة

الانتشار ، فسكن الايدوسيون على نهر الأودر وهؤلاء أسلاف الجوت والسواردون على نهر فارت Warte والنريثونيون على نهر نتز Netze

٢٤٦ — يعتقد الكثير أن المقصود بهذه الجزيرة جزيرة روجن Rügen فى البحر البلطى (أنظر Thomson p. 246) ويحتمل جدا أن تكون جزيرة أخرى قرب مصب نهر الألب ، لأن موقع هذه الجزيرة الأخيرة يتفق أكثر مع مواقع الشعوب المذكورة ، واسم هذه الجزيرة هاجلاند Helgeland أو Heiligeland بمعنى الجزيرة المقدسة .

٢٤٧ — المقصود بهذا الفصل ، فصل الشتاء حيث يقام فيه هذا الاحتفال .

٢٤٨ — لم يكن للجرمان معابد ، ولكن المقصود المكان المقدس أو الغابة المقدسة .

٢٤٩ — العبارة الأخيرة المحصورة بين قوسين ، مذكورة فى بعض النسخ ضمن الفقرة التالية (٤١) والأنسب ما أثبته فى الترجمة .

٢٥٠ — غير الهرمندوريون مواطنهم أكثر من مرة ، فاحتلوا أولا المنطقة الواقعه بين نهرى الألب وسالا وبوهيميا ثم استولوا على بوهيميا وأطلقوا عليها الأسم السويفى الذى اشتق منه اسم سوابيا الحديثة .

٢٥١ — كان الهرمندوريون موالين للرومان لكنهم تحالفوا بعد ذلك مع الماركومان وغيرهم من الجرمان ضد روما فهزمهم ماركوس أورليوس (أنظر Wheeler, p.9) .

٢٥٢ — يخطىء تاكيتوس فى هذا الموضع ، إذا خلط بين منبع نهر

اجرا Egra الذى ينبع حقيقة فى بلاد الهرمندوريين وبين منبع نهر الألب الذى ينبع من بوهيميا . وكان نهر الألب معروفا للرومان زمن انتصارات دروسس وتيبريوس ودوميتيوس ، غير أنه عندما نمت قوة الجرمان بحيث أبعدت الرومان عنهم ، لم يعد الرومان يسمعون شيئاً عن نهر الألب إلا فى غموض وإبهام . ومن هنا جاء الخطأ فى رسم منبع نهر الألب فى خرائط الرومان . على أن هناك احتمالا آخر يصحح ما ذكره تاكيتوس ، وهو أنه عندما كان الهرمندوريون يخدمون فى جيش ماربودس Maroboduus ملك الماركومان ، حصلوا على جزء من بوهيميا حيث ينبع الألب ، وفى مثل هذه الحالة ليس هناك خطأ فيما أورده تاكيتوس .

٢٥٣ — سكن النارسكيون فى ذلك الجزء من بافاريا الواقع بين بوهيميا والدانوب ، والماركومان هم سكان بوهيميا ، ويرى بعض الكتاب أن اسم الماركومان مشتق من موضع سكناهم على حـــدود ألمانيا من الكلمة (Marche) Marc بمعنى حد أو تخم ، أما الكوادى فيسكنون فى مورافيا وجزء من النمسا ، وهم شعب قليل الأهمية فى ذلك الوقت ، رغم أنه كان فيما سبق مشهورا بقوته الحربية .

٢٥٤ — برهنت هذه الشعوب على شجاعتها وشدة مراسها فى الحروب خلال الحروب التى خاضتها مشتركة مع الماركومان ضد الرومان على عهد ماركوس أوريليوس .

٢٥٥ — كان ماربودس قد حالف الرومان ، ومن فرع تدروس Tudrus الملك فانيوس Vannius الذى عينه تيبريوس ملكا على الكوادى . (Matt., p. 173, Salmon, pp. 110-128)

٢٥٦ — تقع مساكن المارسيجنيين فيما هو الآن جلاتز Galatz وياجرندولف Jagerndolf وجزء من سيليسا . وسكن الكوثينيون فى سيليسا كذلك وبعض المجر . أما الآوسيون فأقاموا فى بعض المجر والدانوب . وحول جبال الكربات ومنابع الفستولا انتشر البوريون .

٢٥٧ — يحتمل أن السويف اختلفوا عن بقية الشعوب الجرمانية بلهجة خاصة كما تميزوا بأزياء وعادات معينة .

٢٥٨ — ذكر بطليموس الجغرافى أن مناجم الحديد توجد بالقرب من من بلاد الكوادى .

٢٥٩ — المقصود بهذه الجبال السلسلة القائمة بين مورافيا والمجر وسيليسيا وبوهيميا .

٢٦٠ — أقام الليجيون فى سيليسيا وما حولها .

٢٦١ — النهار فاليون سكان المنطقة الواقعة بين الأودر والفستولا حيث توجد الآن بعض أجزاء من سيليسيا وبراندنبرج وبولندا . ويقال أن سيليسيا سميت باسم الايليسين أو الهليسيين (Oxf. Trans.' Matt. p. 169)

٢٦٢ — عبد الأغريق والرومان الأنواء الجوية تحت اسم Dioscuti و Castor و Pollux واعتقدوا أن كاستورو بولكس يظهران على ساريات السفن كدليل على قرب نهاية العاصفة وهما توأمان سماويان مهمتهما الأنقاذ من مخاطر البر والبحر (Matt. p. 163)

٢٦٣ — مساكن القوط فيما هو بومرانيا الشرقية والجزء الغربى من بولندا .

٢٦٤ — سكن الروجيون على شواطىء البلطى، ولم يزل اسمهم واضحا فى مدينة روجنفالد Rugenwald وجزيرة روجن Rugen ؛ وأقام الليموفيون على البلطى كذلك حـــول المنطقة المعروفة حاليا باسم ستولب Stolpe ودانتزج ولونبرج . ولما ظهر الهيرولين احتلوا مساكن الليموفين، وبذلك لم يعد لهم ذكر، واشتهر من بعدهم الهيرولين فى آسيا وأوربا، وكانوا أول الجرمان الذين أسسوا مملكة فى إيطاليا بزعامة أدواكر.

٢٦٥ — أضيفت العبارة الأخيرة المحصورة بين الأقواس إلى فقرة ٤٤ فى بعض النسخ على حين أنها مضافة إلى الفقرة ٤٣ فى أغلب النسخ وهو ما أثبته فى الترجمة لمناسبتها لموضوع الفقرة المذكورة.

٢٦٦ — السويونيون سكان السويد والجزر الدانية وهى فونن ولانجلاند وزيلاند ولالاند وغيرها (Funen, Langland. Zealand. Laland (أنظر Thomson. p. 245)

ومن شعوب السويونيين والكمبرى جاء النورمان الذين نشروا الرعب والخوف فى كثير من أجزاء الامبراطورية ثم استولوا أخيرا على الولاية الخصيبة التى عرفت باسمهم فى فرنسا (نورماندیا). والمعروف أن شعب السويونيين هو الذى وضع أول مجموعة من القوانين البحرية Nautical Law وهى القوانين التى كتبت لأول مره فى فيزبى Wisby عاصمة جزيرة جوتلاند Gothland فى القرن الحادى عشر.

٢٦٧ — مما يدل على ضخامة ثروتهم، عظم ما أوقفوه منها على معبدهم أبسول Ubsol ، المعروف الآن باسم أوبسال Upsal وهو مغطى بالذهب

وبه تماثيل آلهة ثلاثة أعظمها ثور Thor وقرب هذا المعبد القديم قامت عاصمة السويد الحديثة ستوكهلم .

٢٦٨ — كانت الملكية بين السويين وراثية وليست انتخابية .

٢٦٩ — ليس من المحقق هل المقصود بالبحر الهادىء . المحيط المتجمد الشمالى أو الأطراف الشمالية القصوى للبحر البلطى حيث تتجمد خلجان بوثينيا وفلندا شتاءاً مما يعيق الملاحة فيها .

٢٧٠ — سكن الايستيون فى الولايات المعروفة حاليا باسم بروسيا ودوقيات ساموجتيا Somogitia وكورلاند وبلاتينات ليفونيا واستونيا ولم يزل اسم هذه القبائل تعرف به ولاية استونيا . أما البحر السويبى فالمقصود به البحر البلطى (أنظر الخريطة) .

٢٧١ — يرجع ذلك إلى أن سكان هذا الجزء القاصى من جرمانيا ، احتفظوا باللغة السكيتية ، وهى التى سادت وانتشرت مدة طويلة فى بريطانيا .

٢٧٢ — يحتمل أن نشاطهم الزراعى نشأ بسبب حصر أماكن سكناهم فتفرغوا للاعمال الزراعية ، حيث لا تسهل الحركة والتجوال للصيد والنهب كبقية الجرمان .

٢٧٣ — كثير من العنبر البروسى يجمع حتى العصر الحاضر من سواحل البلطى (أنظر Thoson, p.p. 239—240)

٢٧٤ — درجت قبائل الجوتون الساكنة على هذا الساحل على استخدام

العنبر كوقود ويبعه لهذا الغرض إلى التيوتون المجاورين ، على أن الرومان اتخذوا من العنبر مادة لصناعة أدوات الزينة والأواني المختلفة مثل الأسورة والعقود والخواتم والأقداح وحتى الأعمدة ، وقد عثر على هذه الأدوات .

٢٧٥ — دلت الابحاث الحديثة والكشوف الحديثة على صدق الحقائق التي أوردها تاكيتوس عن أصل العنبر ، فيعرف عن جزيرة ساملاند أو مجموعة الجزر التي عرفت بهذا الاسم ، أن بها غابات فيها أشجار معينة تفرز عصارة أو صمغا بكميات كبيرة ، حتى أن تربتها قد كسيت بطبقة من العنبر ، وبفضل العواصف وطغيان البحر جرفت هذه الطبقة خلال عدة قرون وألقيت على الساحل ، ويفسر هذا وجود بعض الحشرات داخله كما ذكر تاكيتوس .

٢٧٦ — السيتونيون هم النرويجيون الحاليون (أنظر Thomson,p.245)

٢٧٧ — ذكرت العبارة الأخيرة بين القوسين فى بعض النسخ ضمن الفقرة التالية (٤٦) والأنسب ما أثبته فى الترجمة .

٢٧٨ — تعرف جميع المنطقة الممتدة شرق نهر الفستولا باسم سارماتيا وهذه الشعوب المذكورة يحتمل أنها سكنت هذه المنطقة رغم أن عاداتها وتقاليدها تقربها من الأصل الجرماني (راجع . عبد اللطيف ص ٣٦٧ — ٣٦٩) .

٢٧٩ — ذكر بليني Pliny الشعب البيكوني ضمن الشعوب الجرمانية ويبدو أنه سكن حول مصبات نهر الدانوب وبصفة خاصة جزيرة بيوكى وهي التي كونها النهر وتعرف حاليا باسم بيكرينا Piczina والمعروف أن مساكن

البيكون ثابتة على عكس السارمات الذين دأبوا على الرحلة والتجوال فى عرباتهم .

٢٨٠ — أقسام الفنديين بجوار البيكونى والبستارن ووصلت مساكنهم إلى البحر البلطى حيا بجد خليج فينيديكوس SimusVenedicusوهو خليج دانتزج الحالى ولا يزال اسمهم يطلق على منطقة فندن Wenden وهى جزء من إقليم ليفونيا ، وفى الوقت الذى داهمت فيه الشعب الجرمانية إيطاليا وفرنسا وأسبانيا كان الفنديون ينتشرون بين الفستولا والألب ، ثم عبروا الدانوب واستولوا على الدالماشيا واليبريا واستريا ، وكارنيولا Carniola وغيرها ؛ ولا يزال جزء من كارنيولا يحتفظ باسمهم Windismarck،وعرفوا كذلك باسم السلافيين Slavi ولغتهم السكلافونية Sclavonian لا تزال منتشرة فى مساحة واسعة من المنطقة .

٢٨١ — لا يزال هذا التقليد سائدا بين سلالة السارمات وهم التتر النوغاى Nogai Tartars

٢٨٢ — يسمى بلينى Pliny بلاد الفن باسم انتجيا Eningia وهى فنلاندة الحالية ، ويتميز الفن بالوحشية والبؤس ، فيأكلون لحوم الحيوانات المفترسة نيئة ، ويلبسون جلودها بفرائها ؛ ومن أسمائهم اللاب ، اشتقاقا من اللفظة العبرية التى تدل على معنى القفز والوثب Leaping وذلك لأنهم يصطادون الوحوش بطريقة معينة ، وهى الوثب ، ومعهم قطع من الخشب على شكل أقواس ، والحشائش أو النباتات البرية هى طعامهم النباتى الوحيد بجانب اللحوم النيئة .

٢٨٣ — لم تزل شعوب الاسكيمو Esquimaux وسكان الجزر الجنوبية حتى العصر الحاضر تصنع سلاحها على هذا النحو .

٢٨٤ — تقيم هذه الشعوب فى لابلاند

٢٨٥ — تدل هذه العبارة الأخيرة على قيمة تاكيتوس كمؤرخ بارع قدير، إذ امتنع عن مزج الحقيقة بالخرافات والأساطير بتلك المعلومات القيمة التى أوردها فى رسالته عن جرمانيا، فمثل هذا الخلط قد يؤدى إلى مناقشة مدى صحة المعلومات كلها بصفة عامة؛ علما بأن المعلومات التى أوردها تتفق مع الحقائق ولا تتنافى مع المعقول.

كشاف

رقم مسلسل	اسم القبيلة أو القبائل		رقم الفقرة التي وردت في كتاب جرمانيا	مواطنها
١	الأيستيون	Aestii	٤٥	على الساحل الشرقي للبحر البلطى فى أستونيا .
٢	الأنجليون	Anglii	٤٠	شلزويج ، وهم أسلاف الإنجليز
٣	الأنجريفاريون	Angrivarii	٣٣ ، ٣٤	على جانبى الويزر الأوسط .
٤	الأرافسكيون	Aravisci	٢٨	شمالى شرق المجر .
٥	الأفيونيون	Aviones	٤٠	جزائر فريزيا الشمالية .
٦	البستارن	Bastarnae	٤٦	على امتداد جبال الكربات من غاليسيا إلى الجنوب .
٧	الباتفيون	Batvai	٢٩	جزيرة الراين بين الراين والوال Wall
٨	البركتيريون	Bructeri	٣٣	قرب مونستر Munster
٩	البوريون	Buri	٤٣	مورافيا
١٠	الشاماف	Chamavi	٣٣ ، ٣٤	طردهم نيرون دروسس إلى أوفريسل Overyssel فى هولندا.
١١	الشاسوارى	Chasuarii	٣٤	شمالى أوسنابروك Osnabruek

رقم مسلسل	اسم القبيلة أو القبائل		رقم الفقرة التي وردت فيها في كتاب جرمانيا	مواطنها
١٢	الكاتيون	Chatti Or Catti	٣٠،٢٩ ٣٢،٣١ ٣٦،٣٥ ٣٨	في هس وقد حاربهم دوميشيان عام ٨٣-٨٩م .
١٣	الشوكيون	Chauci	٣٦،٣٥	تمتد مساكنهم من نهر إمز الأدنى إلى نهر الألب
١٤	الشيروسكيون	Chersuci	٣٦	على نهر الوزر الأوسط الذين دمروا فارس وجيشه عام ٩م .
١٥	الكمبرى	Cimbri	٣٧	جوتلاند، وقد هاجروا مع التيوتون عام ١١٣ ق . م واجتاحوا غالة وأسبانيا ثم هزموا في فرسای عام ١٠١ ق . م
١٦	الكوتينيون	Cotini	٤٣	على أعالى نهر جران Gran أحد فروع نهر الدانوب .
١٧	الدولجبنيون	Dulgibini	٣٤	يحتمل أن موطنهم في الحوض الأوسط لكل من نهري الير Allier أحد فروع الويزر ولين Leune .

رقم مسلسل	اسم القبيلة أو القبائل		رقم الفقرة التي وردت فيها في كتاب جرمانيا	مواطنها
١٨	الأيليزيون أو الهليسيون	Elisii Or Helisii	٤٣	جنوب شرق ألمانيا .
١٩	الأيودوسيون	Eudoses Or Eudusii	٤٠	جنوب جوتلاند وهم أسلاف الجوت.
٢٠	الفن	Fenni	٤٦	فنلاند
٢١	الفوسيون	Fosi	٣٦	يحتمل أن موطنهم شمال شرق هانوفر
٢٢	الفريزيون	Frisi	٣٤، ٣٥	فريزلاند
٢٣	الكمبريفيون	Gambrivi Or Cambrivi	٢	يحتمل أنهم أسلاف السوجامبرى ومساكنهم إلى الغرب من نهر ليب
٢٤	القوط	Gothones	٤٣	شرق الفستولا الأدنى ، وقد هبطوا أصلا من Gotaland جنوب السويد .
٢٥	الهاريون	Harii	٤٣	جنوبي شرق ألمانيا ، يحتمل أنهم أسلاف الوندال (أنظر رقم ٥٦)
٢٦	الهليسيون	Helisii	٤٣	(أنظر رقم ١٨)

رقم مسلسل	اسم القبيلة أو القبائل		رقم الفقرة التي وردت فيها في كتاب جرمانيا	مواطنها
٢٧	الهيلوسيون	Helusii	٤٦	شعب خرافي في الشمال.
٢٨	الهلفيكون	Helvecones	٤٣	شرق ألمانيا
٢٩	الهلفتيون	Helvetii	٢٨	سويسرا
٣٠	الهرمينيون	Hsrminones	٢	أنظر حاشية رقم ١١٦، ١١٧
٣١	الهرمندوريون	Hermunduri	٤١، ٤٢	على الدانوب وفي فرانكونيا وثورنجيا.
٣٢	الأنجيفونيون	Ingaevones	٢	أنظر حاشية رقم ١١٦، ١١٧
٣٣	الأستيفونيون	Istaevones	٢	أنظر حاشية رقم ١١٦، ١١٧
٣٤	اللومبارد	Langobardi	٤٠	هم اللومبارد وموطنهم شمالي شرق هانوفر
٣٥	الليموفيون	Lemovii	٤٣	شمالي شرق ألمانيا
٣٦	الليجيون	Lugii or Lygii	٤٣	مجموعة كبيرة من القبائل الجرمانية المقيمة في الجنوب الشرقي من ألمانيا.
٣٧	المانيميون	Manimi	٤٣	جنوب شرق ألمانيا
٣٨	الماركومان	Marcomanni	٤٢، ٤٣	بوهيميا
٣٩	المارسيون	Marsi	٢	أنظر حاشية رقم ١١٨

رقم مسلسل	اسم القبيلة أو القبائل		رقم الفقرة التي وردت فيها في كتاب جرمانيا	مواطنها
٤٠	المارسيجنيون	Marsigni	٤٣	شمال شرقى بوهيميا
٤١	الماتياكيون	Mattiaci	٢٩	فى حوض الراين والمين عند أكواى ماتيا كاى Aquae Mattiacae وهى فيربادن الحديثة Wiesbaden
٤٢	النهار فاليون	Naharvali Or	٤٣	فى سيليسيا
٤٣	النارستيون		٤٢	غربى غابة بوهيميا
٤٤	النمتيون	Nemetes	٢٨	فى منطقة سبير Speyer
٤٥	النرفيون	Nervii	٢٨	أنظر حاشية رقم ١٩٦
٤٦	النويتون	Nuitones or Nuithones	٤٠	جوتلاند
٤٧	الأوزيون	Osi	٤٣،٢٨	قرب نهر إيبل Eipel على الدانوب
٤٨	الأوكسيون	Oxiones	٤٦	شعب خرافى فى الشمال
٤٩	البيكونى	Peucini	٤٦	فى جزيرة بيوكى Peuce فى دلتا الدانوب، وهم فرع من البستارن

رقم مسلسل	أسم القبيلة أو القبائل		رقم الفقرة التى وردت فيها فى كتاب جرمانيا	مواطنها
٥٠	الكوادى	Quadi	٤٢، ٤٣	فى مورافيا
٥١	الرودجنيون	Reudigni	٤٠	هولشتين
٥٢	الروجيون	Rugii	٤٣	فى بومرانيا غربى نهر الفستولا
٥٣	السامنتيون	Samnites	٣٧	شعب إيطالى قديم حاربته روما لتحقيق سيادتها فى إيطاليا (٣٤٣ — ٢٩٠ ق.م)
٥٤	السمنون	Semnones	٣٩	بين الألب الأوسط والأودر
٥٥	السيتون	Sitones	٤٥	فنلاند
٥٦	السوارينى	Suarini or Suardini	٤٠	على ساحل مكلنبرج Mecklenburg شمالى ألمانيا
٥٧	السويف	Suebi or Suvi	٢، ٩، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٤٦	اسم شامل لمجموعة من القبائل الجرمانية فى الشمال والشرق
٥٨	السويون	Suiones	٤٤، ٤٥	على شواطىء البلطى

رقم مسلسل	اسم القبيلة أو القبائل		رقم الفقرة التي وردت فيها في كتاب جرمانيا	موطنها
٥٩	التنكتريون	Tencteri	٣٢،٣٣، ٣٨	في حوض الراين الأوسط شرق الأوسيبين Usipi
٦٠	التريفيريون	Treveri	٢٨	عند تريف
٦١	التريبوكى	Triboci	٢٨	في حوض الراين قرب ستراسبورج
٦٢	التونجرى	Tungri	٢	شرق الراين الأدنى
٦٣	الأوبيون	Ubii	٢٨	استقروا في مستعمرة اجربينا (كولونيا) — انظر حاشية رقم ٥٨ .
٦٤	الأوسيبيون	Usbii or Usipettes	٣٢	بين الليب الأدنى ونهر يسل Yessell
٦٥	الوندال	Vandalci or Vandali	٢	اسم عام لمجموعة من القبائل الجرمانية الشرقية
٦٦	الفانجيون	Vangiones	٢٧	مقاطعة حول مدينة ورمز

رقم مسلسل	القبيلة او القبائل	رقم الفقرة التى وردت فيها فى كتاب جرمانيا	مواطنها
٦٧	الفارنيون Varini	٤٠	شلزويج ، وقد هاجروا اصلا من سكندنافيا
٦٨	الفنتيون Veneti or Venedi Venthi Wends	٤٦	شرق نهر الفستولا الأوسط وهم اسلاف الصقالبه Slavs

المراجـــع

المراجع التى اعتمد عليها المترجم

فى الترجمة والشرح والتعليقات

(أ) المراجع العربية .

١ — جواد (الدكتور جواد على)

تاريخ العرب قبل الإسلام

(جـ ٥ — بغداد ١٣٧٥هـ/١٩٥٦)

٢ — طرخان (الدكتور ابراهيم على)

دولة القوط الغربيين

(مصر ١٩٥٨)

٣ — عبد اللطيف (الدكتور عبد اللطيف أحمد على)

روما — تاريخ الجمهورية والامبراطورية

(مصر)

٤ — فشر

تاريخ أوربا فى العصور القديمة

(ترجمة الدكتور نصحى والدكتور عواد)

(مصر ١٩٥٠)

٥ — كوبلاند وفينوجرادوف :
الإقطاع والعصور الوسطى فى غرب أوربا
(ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة)
مصر ١٩٥٨

٦ — هارون (عبد السلام)
الميسر والأزلام
(مصر ١٩٥٣)

٧ — هرنشو
علم التاريخ
(ترجمة المرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادى)
(مصر ١٩٣٧)

(ب) المراجع الأجنبية

1 — Bury, J.,
A History of The Roman Empire From Its Foundation to The Death of Aurelius (27 B. c. — 180 A. D)
(Lond, 1922)

2 — Cary, M.
A History of Rome Down to The Reign of Constantine
(Lond. 1954)

3 — Church, A J. & Brodribb, J.,
The Complete Work of Tacitus
(NewYork, 1942)

4 — Coon, C. S.,
The Races of Europe
(NewYork, 1939)

5 — Deanesly, M.,
A History of Early Medieval Europe. (476 — 911)
(Lond, 1956)

6 — Donaldson, D.M.
Studies in Moslem Ethics
(Lond, 1953)

7 — The Enigma of Tacitus .[1]

(١) اعتمد صاحب هذا المقال ، فيما اعتمد ، على كتاب تاكيتوس (فى مجلدين) تأليف رونالدسيم Ronald Syme وهذا المؤلف هو الذى كتب الفصل الخاص بالغزوات الجرمانية على عهد أغسطس فى سلسلة كامبردج للتاريخ القديم ـ أنظر رقم ١٧ من المراجع الأجنبيه) .

(The Times, Literary Supplement, June 27, 1958 — No. 2,939)

8 — Encycl. Britt., (Art. « Tacitus ».)

9 — Ganshoff, L. E.
Feudalism
(Lond., 1952)

10 — Giles, P.
The Peoples of Europe
(Camb. Anc. Hist. Vol. II, pp. 20—391)

11 — Grant, M.,
Tacitus on Imperial Rome
(Bristol, 1056)

12 — Lot, F.,
Les Invasions Germaniques
(Paris, 1935)

31 — Mattingly, H.,
Tacitus on Britain & Germany
(Suffolk, 1951)

14 — Reid, J. S.,
The Municipalities of The Roman Empire
(Camb., 1918)

15 — Rosotvtseff, M.,
The Social & Economical History of The Roman Empire Vol. I, (Lond., 1957)

16 — Salmon, E. T.,
A History of The Roman Empire
From 30 B. c. To A. D. 138
(Lnd., 1950)

17 — Syme, R.
The Northren Frontiers under Augustus
(Cam. Anc. Hist., Vol 10, pp. 340—381)

18 — Thomson, J.O. : History of Ancient Geography
(Camb., 1948)

19 — Whatmough, J. The Foundation of Roman Italy.
(Lond., 1937)

20 — Wheeler, Sir M.W.,
Rome Beyond The Imperial Frontiers
(Lond., 1954)

12 — Works of Tacitus
(Oxford Translation)

الفهرس

ص

(ا) مدخل ٣

(ب) المقدمة : تاكيتوس وعصره وتراثه ٧

مكانة تاكيتوس المؤرخ - الأمبراطور تاكيتوس - الاختلافات حول شخصيته ومؤلفاته - قلة المعلومات عن حياته وأسرته وولادته ووفاته - صداقته مع بلينى الصغير ومدى إعجاب بلينى به - عقيدته وثقافته وزواجه - وظائفه وسرعة ترقيته - آراؤه السياسية - أثر حكم الإرهاب فى نفسه - كراهيته للنظام الأمبراطورى - نزعته الجمهورية - وطنيته وتعصبه القومى - نظرته إلى الولايات الرومانية.

نقده: إهماله الناحية الجغرافية - إهماله الاستقصاء التاريخى - عنايته الفائقة بالأسلوب - إيجازه وبلاغته - عدم مزجه الحقيقة بالخيال.

مصادره الرسمية وغير الرسمية - مؤلفاته وقيمتها - الحوار - حياة أجريكولا - التاريخ - الحوليات - جرمانيا - دراسة تحليلية شاملة لكتاب جرمانيا.

(ج) فصول رسالة « جرمانيا »

القسم الأول

أصول الشعوب الجرمانية

وعاداتها وتقاليدها ونظمها ص

١ — الوصف الجغرافى لجرمانيا ـ الموقع ـ نهر الراين والدانوب . ٤٧
٢ — أصول الجرمان ـ كلمة جرمان وجرمانيا ٤٧
٣ — هرقل الجرمانى ـ أنشودة الحرب ـ أولسس ٤٩
٤ — نقاء الجنس الجرمانى ـ صفات الجرمان الجثمانية ٥٠
٥ — خصائص التربة والمناخ ـ الثروة النباتية والحيوانية ـ نظرة الجرمان إلى المعادن الثمينة ـ استخدام النقود ـ المقايضة . . . النقود المفضلة عند الجرمان ٥٠
٦ — أسلحتهم : السيف ـ الحربة ـ الدرع ـ الشاب ـ بساطة أزيائهم زخرفة الدروع ـ ندرة القمصان الحديدية والمغافر ـ خيولهم ـ قوة الرجالة نظام التعبئة ـ عقوبة المتخلى عن درعه ٥٢
٧ — انتخاب الملوك والقادة ـ سلطتهم ـ سلطة الكهان القضائية ـ أسر المحاربين والحرب ٥٣
٨ — نساء الجرمان وسهمهن فى الحروب ـ مكانة النساء الجرمانيات ٥٤
٩ — معبوداتهم : عطارد ـ هرقل ـ مارس ـ إيزيس ـ معابدهم . . . ٥٥

ص

١٠ — الفأل والطيرة - طريقة الاقتراع - صوت الطيور - الخيل وطريقة استشارتها - المبارزة الفردية ٥٦

١١ — الجمعية العمومية - مواعيد إنعقادها - التوقيت بالليالي دون الأيام - حضور الجلسات بالسلاح الكامل - طريقة إدلاء الأصوات ٥٧

١٢ — سلطة الجمعية العمومية في فرض العقوبات - أنواع العقوبات انتخاب القضاة المحليين ٥٨

١٣ — حفل تنصيب الفارس - نظام الزمالة أو التبعية ٥٩

١٤ — شجاعة الرؤساء وأتباعهم في الحرب - أهمية الحروب والغنائم ٦٠

١٥ — أوقات الفراغ وحياة الكسل والاسترخاء - الهدايا وأهميتها ٦١

١٦ — القرى والمساكن: تفرق المنازل - عدم استخدام الأحجار استخدام الخشب - الطلاء الطيني - الكهوف ووظيفتها المزدوجة ٦٢

١٧ — أزياؤهم: العباءة القصيرة - تميز الأثرياء - جلود الحيوانات أزياء النساء ٦٣

١٨ نظام الزواج: عدم تعدد الزوجات - الدوطة - تبادل الهدايا من الأسلحة والماشية - واجبات الحياة الزوجية ٦٤

١٩ — عفة الجرمان - عقوبة الزنا - قصر الزواج على العذارى احترام الزوجة - جريمة تحديد النسل ٦٥

٢٠ — تربية الأطفال - تأخير سن الزواج - أهمية القرابة ونظام الوراثة ٦٦

ص

٢١ — توارث الخصومات والصداقات - علاج الخصومات - سخاء الجرمان تقاليد الضيافة ٦٧

٢٢ — أسلوب حياتهم - إدمانهم على الخمر - حفلاتهم مجالس للمداولات ٦٨

٢٣ — شرابهم - طعامهم - مساوىء إنهما كهم فى الشراب ٦٩

٢٤ — وسائل التسلية : الرقص بين الأسلحة - الميسر - المقامرة على حريتهم ٧٠

٢٥ — الأرقاء وحالتهم - المحررون ووضعهم الاجتماعى ٧١

٢٦ — الرهن والربا - نظام توزيع الأراضى - العناية بزراعة القمح فصول السنة عندهم ٧٢

٢٧ — طقوسهم الجنائزية : حرق جثث الموتى - بساطة القبور - عدم عدم إقامة نصب تذكاريه - سرعة للتخلى عن مظاهر الحزن . . ٧٣

القسم الثاني

القبائل الجرمانية

الخصائص المميزة لكل قبيلة من حيث النظم والعقائد والطقوس والأحوال العامة

ص

٢٨ — قوة الغاليين الأولى ـ الهلتيون والبــويىء ـ الأرافسكيون والأوسيون ـ الفانجيونيون والتريبوكيون والنمتيون والأوبيون ٧٧
٢٩ — الباتافيون ـ الكاتيون ـ الماتيا كيون ـ سكان الأراضى العشرية ٧٨
٣٠ — قبائل الكاتيين : مساكنهم ـ صفاتهم الجثمانية والعقلية حسن نظامهم ـ قوة الرجالة عندهم . . . .
٣١ — قبائل الكاتيين (تابع) : تقاليدهم الحربية ـ إطالة الشعر ـ لبس الطوق الحديد ـ سهم الشيب فى الحرب . . . ٨١
٣٢ — الأوسيون ـ التنكتيريون وفروسيتهم ـ توريث الخيول لاقدر الورثة ٨٢
٣٣ — البروكتيريون وصلفهم ووحشيتهم ـ إبادتهم ـ أهمية الانقسام بين الجرمان فى نظر المصالح الرومانية ٨٣
٣٤ — الدولجيبيون والشاسواريون ـ الفريزيون وأقسامهم ومواطنهم ٨٤
٣٥ — الشوكيون ومساكنهم ـ نبلهم ـ شجاعتهم ٨٥

٣٦ — الشيروسكيون وضعفهم ـ خضوعهم للكاتيين ٨٦
٣٧ — الكمبريون وشهرتهم التاريخية ـ الحروب الجرمانية الرومانية . ٨٦
٣٨ — السويف وفروعهم ـ سعة أوطانهم ـ تقاليدهم ـ عادة إرسال الشعر وعقده ٨٨
٣٩ — السمنونيرن أقدم فروع السويف وأنبلهم ـ طقوسهم الدينية كثافة أعدادهم ٨٩
٤٠ — اللومباردبون أو اللانجوبارديون ـ الروجنيون ـ الأفيونيون الأنجليون ـ الفاريون ـ الأيودسيون ـ السواردونيون ـ النويتونيون ـ عبادة إلهة الأرض (إرثا) الاحتفال بها ـ مصير القائمين بغسلها ٩٠
٤١ — الهرمندريون والولاء الرومان ـ منبع نهر الألب ٩١
٤٢ — النارسيكيون والماركومان والكوادى ـ النظام الملكى عند الماركومان والكوادى ـ خضوعهم للرومان ٩٢
٤٣ — الماريسجنيون ـ الأوسيون ـ البوريون ـ الكوتينيون والأوسيون ليسوا من الجرمان ـ الكوتينيون ومناجم الحديد والجزية ـ الليجيون وغيرهم ـ عبادة النهار فاليين ـ وحشية الآريين ـ النظام الملكى عند القوط والروجيين والليموفيين ٩٣
٤٤ — السويونيون وقوتهم البحرية ـ نظامهم الملكى ـ السلاح خانات فى حراسة العبيد ٩٥
٤٥ — البحر المحيط بالعالم ـ الإيستيون ومعبوداتهم ـ أسلحتهم ـ نشاطهم الزراعى ـ جمع العنبر ـ السيتونيون وحكم النساء . . . ٩٦

ص
٤٦ — البيوكنيون والفنديون والفن ـ سو ـ حال الفن ـ الأخبار الأسطورية
عن قبائل الهيلوسيين والأوكسيونيين ٩٨

(د) الحواشي والشروح والتعليقات ١٠٣
(ه) كشاف بأسماء القبائل التي أوردها تاكيتوس ومواطنها . . . ١٥٢

تم بحمد الله

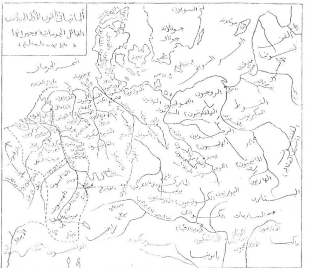
ألمانيا في القرن الأول الميلادي
القبائل الجرمانية وجيرانها
البحر الجرماني
جوتلاند
الروجيون
البستارن
السارماتيون
بانونيا